الفاجومي (12)

الفــاجـــومـــي
فـــي القــــاهرة

قال تعاشر يابن آدم تعاشر.. مسيرك يابن آدم تفارق.. الله يرحمك يا امه!

كانت في لحظة الوداع الأليمة تهرب من وجع الفراق إلى بلسم الكلام:

– الغربة يا ابني زي الموت.. علينا حق.. لكن برضه مسير الغريب يروح بلده.. وعلى رأي المثل: قالوا بلدك فين يا جحا.. قال اللي فيها معاشي.

أنا قبل ليلة حوش آدم الأولى كنت مجرد مواطن عادي من رعايا جمهورية الصين الشعبية المعروفة إدارياً باسم: بولاق الدكرور.

كنت مأجر أوضة بعفشة ميه مشتركة في بيت أم عبلة التمرجية باتنين جنيه في الشهر. طبعاً حتسألني:

– وعرفت منين إن صاحبة البيت اسمها أم عبلة؟

ح أقول لك:

– من عبلة ذات نفسها.

هي كانت – الله يمسيها بالخير – مقيمة مع الست والدتها في البيت القديم المواجه للبيت الجديد اللي إحنا ساكنينه. وكان شباكها

مواجـه لشـباك أوضـتي، وكانـت بعـد مـا ترجـع مـن المدرسـة تلـزق فـي الشباك مش أقل من خمس ست ساعات كل يوم.

ما اعرفش بقى كانت بتذاكر إمتى! وكانت طول ما هي قاعدة في الشباك تسبل في عينيها للي رايح واللي جاي.

ويوم بعد يوم حصل النصيب واتكلمنا سوا وإذ بها تقدم لـي نفسـها بكل وضوح:

– مامـا مـا عنـدهاش غيـري.. والبيتـين دول مكتـوبين علـى اسـمي بيـع وشـرا.. دا غيـر دفتـر التـوفير اللـي فاتحـاهولي مامـا فـي البوسـتة.. وعلـى فكرة أنـا لـي اسمين.. زكيـة علـى اسـم أم بابـا الله يرحمـه.. وعبلـة اللـي فـي شـهادة الميلاد.. أنـت تحـب تنـاديني زكيـة ولا عبلـة؟ أنـا عنـدي دهب كتير.. بس ما باحبش ألبسه في البيت.

ولمـا طلبـت منهـا معـاد نـروح سـيما ولا جنينـه نتفسـح واهـي تبقـى مناسبة تلبس دهبها وتفرجني عليه بالمرة، قالت لـي:

– أكتب عليَّ عشان يبقى في الحلال!

أما إذا سألتني:

– طب وعرفت إزاي إن أم عبلة تمرجية؟

الموضـوع ببسـاطة شـديدة مجـرد خـلاف عـادي بـين السـت أم عبلـة باعتبارها صاحبة البيت والست أم لبيبة باعتبارها ساكنة في البيت. كان الخـلاف علـى فلـوس الكسـح. مـا تفهمـش إيـه أضـنى فـؤاد السـت عبلـة

وخلاها تتدخل في الحوار.. والشهادة لله أنا ما سمعتش هي قالت إيه بالظبط أنا فوجئت بالست أم لبيبة بتصحن على كفوفها وبتدرع وبتترقص وتتنطط زي اللي لاشتها عقربة وبتقول لعبلة بالفم المليان:

– بيت إيه دا يا بت يام بيت.. دانتوا بانيينه من سرقة القطن والشاش والمرهم واليزول وأكل العيانين في قصر العيني.. وإن شاء الله حيدربك على دماغ اللي فيه طوبة طوبة لأنه من أساسه حرام في حرام.

المهم إني وأنا باصفي النفوس كما هي عادتي سألت الست أم لبيبة:

– هي الست أم عبلة موظفة في قصر العيني؟

قالت لي وهي بتدرع في وشي:

– موظفة؟.. دي حيا لله حتة فراشة ولا راحت ولا جت.. ولا يمكن خدت الشهادة الكبيرة واحنا ما ندراش.. سلامات يا موظفين.

عموماً مش دا موضوعنا لكن الكلام بيجيب بعضه.

* * *

أنا لما اتعينت في منظمة التضامن بدأت تراودني بشدة أفكار غريبة عن الاستقرار والانتظام في السلك الاجتماعي، وبدأت دماغي تشتغل في هذا الاتجاه لدرجة إني وضعت برنامج ما يخرش المية.. برنامج متعدد المراحل.. المرحلة الأولى منه كانت تجهيز عش الزوجية

عشان تيجي بنت الحلال تلاقي عشها كامل الأوصاف مما جميعه.. لذلك ما مرش أربع شهور إلا وكان البيت بيشغي عفش.

أولاً: استلقطت سرير حديد سفري من بتاع الروبابيكيا. ومن برًّا برا خدته ع الأسطى عربي البواجيرجي مشى لي عليه باجور اللحام قضى على بيض الأكلان المعشش فيه. وزيادة في الاحتياط رميته ع السطح أسبوعين يتحمص في الشمس.. وقمت جايب لك علبة لاكيه لبني وفرشة وخدته وش بقى عروسة.. واشتريت له لوح سفنج فصلت منه مرتبة ومخدتين.. ويشاء السميع العليم إنه تفضل حتة سفنج رحت عاملها خدادية.. وعشرة متر دبلان 22 عملت منهم كسوة.. ونزلت لك على سوق الحد في إمبابة اشتريت بطانية جيش مصري قديمة ورحت ناقعها في علبة رابسو تمانية وأربعين ساعة طلعت جديدة.. وع الحاج مرسي بتاع القديم اللي في شارع همفرس ولقيت عنده ترابيزة نصها الفوقاني حديد ونصها التحتاني خشب.. خدتها.. وعلبة لاكيه من نفس لون علبة السرير وخمس وشوش بقت لك مكتب.. دا غير بقى مستلزمات المطبخ وأهمها سبرتاية ياسين شديدة كنت باطبخ عليها وأعمل الشاي والقهوة وأدمس الفول وأسخن الميه إذا احتكم الأمر وقررت أستحمى.. ولسه طبعاً كنت ح أكمل المسيرة، لكن لما جرالي ما جرالي في ليلة حوش آدم وسعد الموجي والشيخ إمام بدأ مخي يركب وحساباتي تتلخفن واتبخرت من دماغي أفكار الاستقرار واتدمرت مزاعم

العش الهادي ومشروع التكيف الاجتماعي ودوبان الجزء في الكل إلى آخر الكلام الحلو ده...

الأول كيفته قانوني.. القانون بيقول إن من حق المالك يكسر باب العين لو الساكن غاب تلات شهور بدون دفع الإيجار.. وفي الحالة دي تصبح محتويات العين ملك صاحب الملك ياخدها سداد حق..

طب نحسبها.. اثنين جنيه قيمة الإيجار الشهري في تلاتة يبقوا ستة جنيه.. يعني لو أم عبلة كسرت باب العين بعد تلات شهور حتلاقي عفش ومنقولات في حدود أربعين جنيه بالميت.. يبقى أنا ما سرقتهاش.. إذن وداعاً بولاق الدكرور.. وعلى رأي المرحومة أمي:

– تعاشر يابن آدم تعاشر.. مسيرك يابن آدم تفارق.

* * *

عملت الاستطلاع اللازم لأوضة محمد علي لقيت خمس كراسي قش مكتوب على ضهورهم أسماء القهاوي اللي كانوا شغالين فيها قبل ما تئول ملكيتهم – الله أعلم إزاي – لمحمد علي.. طب لزوم القعاد أهه. أدور على حاجة لزوم النوم.. أبداً.. ولا الوتكه.. وقبل ما يتسرب اليأس إلى نفسي لمحت شوالين محشيين شراميط مفروشين على الأرض بدل سجاد وطنافس.. قلت ف عقل بالي: هما دول.

سألت محمد علي:

– هو أنا أقدر أنام هنا؟

قال لي:

- إنت تقدر تنام في أي حتة.. بس حتنام هنا فين؟

قلت له:

- هنا في الأوضة دي.

قال لي:

- أما أمرك عجيب.. حتنام هنا على إيه؟

قلت له:

- ع الشوالين دول.

قال لي:

- دول مليانين تراب..

قلت له:

- أنفضهم..

قال لي:

- ولما ييجي الشتا حتتغطى بإيه.. إعمل حسابك أنا ما عنديش غطا غير اللحاف الوحداني اللي جوا..

قلت له:

- يا سيدي لما ييجي الشتا يكون خلق في قضاه رحمه واشترينا شوالين للغطا..

قال لي:

- إنت يا ابني مش بتقول إنك شاعر في الإذاعة؟

قلت له:

- خلص في الكلام.. أنام هنا وأدفع لك الإيجار؟

قال لي:

- ما تنام..هو أنا ماسكك؟!..

رحت مطلع مفتاح أوضة أم عبلة ومطوحه على آخر إيدي نزل في الأنتيكة اللي هي بيت السيد جمال الدين الدهبي أو شيحا جمال الدين شاهبندر تجار مصر المحروسة على أيام الفاتح محمد علي باشا الكبير رأس الأسرة العلوية المالكة ومؤسس مصر الحديثة.. والله أعلم..

الصبح نزلت على شغلي اللي هو السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن شعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية الكائنة بشارع عبد العزيز آل سعود بالمنيل.. قصر جميل ومحندق كان بتاع واحدة من نساوين العيلة المالكة واستولت عليه الثورة وسبحان من يرث الأرض ومن عليها.

كنا بنمضي حضور الساعة تسعة الصبح ونمضي انصراف الساعة اتنين بعد الظهر.

أنا كنت صحيح لا شغله ولا مشغله.. لكن كنت قاعد في مكتب عقبال أملتك بالتكييف والتليفون وصدق اللي قال يرزق الهاجع والناجع والنايم على بت ودنه.. لكن زي ما بيقولوا الحلو ما يكملش.. مقعدين

معايا واحد زيى برضه لا شغله ولا مشغله كان متطوع سنة 1948 في حرب فلسطين فخدله رصاصة في فكه رحلّت فتحة بقه جنب ودنه الشمال ومع هذا لا يكف عن الرغي طول ما هو قاعد لدرجة إنه جاب لي صداع دايم وأحياناً كان وشي بينمل كأني متبنج وهو مافيش في قلب أمه أي نوع من أنواع الرحمة، والمصيبة العظمى إنه كان متصور نفسه شاعر وكان بيكتب يومياً عشر قصايد ولازم يقريهم لي ويناقشني فيهم وده مثلاً نموذج من شعره:

شرايين اليأس تتفجر في أحقاد الضغينة وعروق اللفت تتلوى في أوحال المدينة والشمس ترقص..

على ورق المشمش.

مبنى المنظمة كان مكون من تلات طوابق الطابق الأول فيه شئون المستخدمين والخزينة والمطبعة والأرشيف والشئون الإدارية والشئون المالية.

مدير شئون المستخدمين كان اسمه الأستاذ حسن الإمام ودا كان ظابط في سلاح الفرسان ولما طلع ع الاستيداع لجأ للأستاذ يوسف السباعي فعينه في المنظمة والحقيقة إن المرحوم يوسف السباعي كان رجل طيب وشهم والدليل على كده كمية البشر اللي عينهم في وظايف هامة وهما مالهمش أى لازمة.. مجرد أصدقاء الشباب والرياضة!

وكان أخونا حسن الإمام متصابي وصابغ شعره وحواجبه وكان عنده في المكتب قبقاب وأبريق صاج زي بتاع المستشفيات وسجادة للصلا وكان بيلعب حواجبه للنسوان ومرة علي المطبعجي ضبطه بيضرب عشره في الحمام.. وساومه على عدم الفضيحة في مقابل إنه ما يخصملوش الربع يوم بتاع التأخير لمدة سنة، ومع ذلك فضحه برضه.. أمال إحنا عرفنا إزاي؟

وكان مدير الشئون الإدارية الأستاذ زكي شنودة المحامي، ودا كان بيتعامل مع نفسه باعتباره وزير.. ليه بقى؟ هو يا سيدي كان عضو في حزب الكتلة الوفدية اللي كان رئيسه مكرم عبيد باشا المحامي والسياسي الشهير أيام الأحزاب والملك فاروق ورغم أن حزب الكتلة كان بيفوز في أي انتخابات تشريعية بعدد مقعد واحد في البرلمان إلا أن الأستاذ زكي كان عنده أمل إنه حييجي اليوم اللي حزب الكتلة يفوز فيه بأغلبية ساحقة ويشكل الحكومة ويبقى هو وزير فيها ووزير العدل على وجه التحديد.

أما مدير الشئون المالية فكان اسمه عم مهدي ودا كان باشكاتب في الخاصة الملكية وخدوه مع الأسلاب، وكان ممكن يتعامل معاملة أسرى الحرب لولا عبقريته في تسوية الحسابات وسد الخانات وتسديد الفواتير حاجة كده تفكرك بشرفنطح لما بيطلع ناظر عزبة في أفلام الريحاني.. وكان دمه خفيف جداً وعينه صاحيه رغم إنه شارف على

السبعين من عمره المديد.. كان لنا زميل بيقضي طول اليوم نايم ع المكتب وكان عم مهدي يقول:

– سيبوه.. نوم الظالم عباده.

ومرة زميلنا ده غاب بسبب المرض ولما طال غيابه رحنا نزوره في البيت ومعانا عم مهدي ولما خبطنا ع الباب طلعت مراته وقالت لنا إنه نايم فقال لها عم مهدي:

– سيبوه.. نوم الظالم عباده.

ومرة زميلنا ده غاب بسبب المرض ولما طال غيابه رحنا نزوره في البيت ومعانا عم مهدي ولما خبطنا ع الباب طلعت مراته وقالت لينا إنه نايم فقال لها عم مهدي:

– هو بينام هنا كمان؟

وانفجرت الست بالضحك واحنا معاها.

نطلع بقى ع الدور التاني وطبعاً حنبدأ بمكتب السكرتير العام اللي هو يوسف بيه شخصياً وما ملكت يمينه اللي هما الفتى المعجباني الأبيضاني الحليوة الأستاذ حسين سكرتيرة الخصوصي ودا بالنسبة للموظفين لا بيهش ولا بينش.. أما العقربة الصفرا أم زبان فهو مدير مكتبه اللي شكله بيفكرك بكفار مكة اللي بيطلعوا في التليفزيون.. وش مكفهر وعين مليانة خبث ودناءه بيشعوا من ورا قزاز النضارة السميك ودا أصله كان سفرجي عند الملك وآلت ملكيته للدولة بعد الثورة فعينوه

ساعي في مجلس الفنون. مجرد ساعي في ركن مهمل.. ما تعرفش إزاي فضل يزحف زي الحشرة لغاية ما قرب من مكتب يوسف بيه في المجلس (ما هو يوسف بيه برضه كان سكرتير مجلس الفنون) وانتهز فرصة غياب الساعي الخصوصي وعمل القهوة وقدمها ليوسف بيه على الطريقة الملوكي فيوسف بيه استكيف فقال لهم: الولد ده يبقى الساعي الخصوصي بتاعي فبقى الولد ده الساعي الخصوصي بتاعه.

وروح يا زمان وتعال يا زمان وأشرق على الدنيا بنوره يوم عيد ميلاد دولت هانم كريمة طه باشا السباعي وحليلة يوسف بيه وطبيعي يقدم الزوج الرقيق هدية جميلة تليق بالمناسبة السعيدة وكانت عبارة عن سجادة فاخرة من محلات إسماعيل علي.. وكانت المناسبة في فرصة العمر للسفرجي الملكي للقفز إلى أعلى.. وقد كان..

هما كانوا خدوه بناء على طلبه لتنظيم البوفيه على الطريقة الملوكي.. أتاري ابن الحرام كان جسمه في المطبخ ودماغه كان في حتة تانية..

وصلت النص نقل بالسجادة وبالحليوة الأبيضاني واشتغلت زغاريت الخدم وفردوا السجادة التحفة على الأرض للفرجة وفوجئوا بالسفرجي بيقول لسواق النص نقل بمنتهى الحزم:

- استنى ما تمشيش.

وقبل ما يستوعبوا المفاجأة كان هو موطي ع السجادة وبيفحصها كخبير ملكي وبعد ما عمل كام حركة ملكية اتجه مباشرة للأستاذ حسين الحليوة الخصوصي وسأله:

- بكام جبتوا السجادة دي؟

وارتبك الأستاذ حسين لكن هزة من راس يوسف بيه شجعته على الإجابة..

فقال باستعلاء واستنكار:

- بكذا.. لكن بتسأل ليه؟

عمل ما سمعش الجملة الأخيرة وسأل:

- فين الفاتورة؟

قدم له حسين الفاتورة فخطفها منه وقال لسواق النص نقل:

- لف السجادة وتعالى معايا..

الله أعلم بقى يوسف بيه وأهل منزله تصوروا إيه؟.. هل السجادة مضروبة؟ هل السفرجي حيغيرها بسجادة ملكية؟ المهم إنهم كانوا في حالة إعجاب وثقة في ذوق السفرجي الملكي العجيب!!

هي حسبة نص ساعة وكان راجع لهم بنفس النص نقل ونفس السواق ونفس السجادة لكن الفاتورة اتغيرت.. نقصت خمسين جنيه قدمهم ليوسف بيه فرق شطارة.. أتاريه ابن الحرام راح لمحلات إسماعيل علي وطلب منهم فاتورة بمبلغ أقل ودفع الفرق من جيبه ومن

لحظتها استولى على قلب وعقل ومفاتيح وأختام وأرقام حسابات يوسف بيه في البنوك وفضل يترقى اجتماعياً حتى دخل نادي أصحاب الملايين ووظيفياً لحد ما وصل لدرجة وكيل وزارة! وكل شيء في مصر جايز.

* * *

الفاجومي (13)

ضبطت نفــسي
أسرق قصيــدة!

كان فيه شخص وصخص في مكتب السكرتير العام المساعد في منظمة التضامن، أما الشخص فهو الدكتور مرسي سعد الدين الشقيق الأكبر للملحن المشهور بليغ حمدي اللي اتهرى يا ولداه من كل من هبّ ودبّ.. كل ما يقول لواحد صباح الخير يروح ظارفه نص كيلو ورق مليان أغاني ويقوله: للأستاذ بليغ..

الراجل بأدب شديد ياخد الورق ويوعد بتوصيله لبليغ عشان يخلص روحه لكن برضه ما يخلصش ليه بقى؟.. ما هو كل واحد مستني يسمع أغانيه بعد بليغ ما يلحنها وتتذاع في الإذاعة بصوت أم كلثوم إن أمكن، وإلا فمش أقل من فايزة أحمد.. يعني وردة لأ، ونجاة جايز بس في أضيق الحدود، وبناء عليه وهو داخل وهو خارج يفاجأ بشخص ينط في كرشه:

– هيه.. إيه أخبار النص؟.. بصراحة عبد الوهاب عايزه لكن أنا بافضل الأستاذ بليغ طبعاً.. يا ريت نسمع أخبار قريبة.

وذات صباح دخل عليَّ الدكتور مرسي لقاني باكتب أغنية.. بصّ في الورق وقال:

– الله.. دا حلو قوي ده..

أنا قلبي وقع في رجليا.. ودماغي لفت ولاَّ الأوضة اللي لفت؟.. أنا مش فاكر.. كل اللي فاكره إني تماسكت وقلت له بمنتهى الألاطه:

- دي حاجة خفيفة كده.

قال لي:

- بالعكس.. دي دسمة جداً.. اكتب منها صورة أديها لبليغ.

بصراحة أنا كنت عايز أسوق في الألاطة وأقول عبد الوهاب عايزها لكن لقيت إن الموضوع حيبقى فيه استهبال وممكن الفرصة تطير من إيدي فرحت مادد له الورقة وقايل له:

- خدها.. أنا حافظها.

ورحت مديها بقين فلسفة فقلت له:

- أنا في رأيي إن الشعر اللي ما يتحفظش ما يبقاش شعر!

الراجل قال لي:

- فعلاً فعلاً يا أستاذ نجم.. بس إذا سمحت تكتب عليها لبليغ.

رحت ماسك الورقة وكاتب:

عزيزي بلبل.. باكورة إنتاجنا المشترك - كلام الناس - وإلى مزيد من الإبداع المشترك أيها الزميل الجميل، ورحت ماضي نجم "شين عين" يعني شاعر عامية.

وعلـى فكـرة الـنص ده كـان غايـة فـي التفاهـة وأنـا بـاقول الواقعـة التافهة دي لأنـها بعدين حتأثر فـي حياتـي بشكل إيجابـي.. دي حاجـة.. الحاجة التانية إن دي كانت آخر تفاهاتي بالنسبة للشعر على الأقل.

نيجي بقى للصخص اللـي هـو علـى نفس درجـة الـدكتور مرسـي سـعد الـدين.. يعنـي السكرتير المسـاعد.. هـو كـان اسـمه كمـال لكـن لـو قلت لـه يا بـهاء يرد عليك!

المذكور برضـه كـان زميل يوسـف بيـه فـي سـلاح الفرسـان وسرحوه فعينـه يوسـف بيـه فـي المجلس والمنظمـة.. كـان الأسـتاذ عـوف مسـاعد المخـرج المزعـوم مسـميه (أبـو لمعـة الأصـلي) لأن كـل شـيء فيـه كـان بيلمـع.. شـعره ووشـه المتحفف وياقـة القمـيص والبدلـة والجزمـة وزرايـر القميص الـدهب وكـان بـاين عليـه مبرشـم.. وهـو ماشـي لا يـرد سـلام ولا يرمـي سـلام، ماشـى ذاهـل عن الوجود ومبتسم علـى طـول وكـان يوسـف بيـه دايمـاً يهزأه لأنـه مش اجتمـاعي ومـا بياخـدش ويـدي مـع النـاس فـي الكلام:

– يـا أخـي أنـت زي البربنـد مـع النسـوان.. اعتبـر كـل المـوظفين نسوان واتكلم معاهم.. قول صـباح الخير قول سـلامو عليكم.. قـول أي حاجة!

وفي يوم كان واخد الدش ونازل من مكتب يوسف بيه في المجلس وكانوا الموظفين متجمعين عند الساعة عشان يمضوا انصراف فوجئ السكرتير العام المساعد بحافظ رجب القصاص السكندري بيقوله:

– يا بهاء بيه يا بهاء بيه!

حافظ رجب كان قصير جداً والصخص كان طويل جداً فوقف وانحنى على حافظ رجب في مشهد ديمقراطي تاريخي وقال له:

– نعم يا حافظ.

فحافظ مد رقبته وبوزه في وشه وقال له:

– ويوّ.

قال له:

– بتقول إيه؟

قال له:

– باقول لك وييبو.

وانفجر الموظفين بالضحك ورجع الصخص على مكتب يوسف بيه عشان يقدم له تقرير غاضب عن نتائج الديمقراطية مع أمثال حافظ رجب!

قبل ما نخش على باقي الدور الثاني لازم نعدي ع الأستاذ محمد المصري.. هو كان عبارة عن ساعي أفرنجي! يعني إيه ساعي أفرنجي؟ يعني كان بيودي البوستة المبعوته من المنظمة ويجيب

البوستة الواردة من مكتب بريد الملك الصالح، وكانوا مسميينه مندوب المنظمة لدى هيئة البريد، كان رجل مدور زي الكورة وكان دمه زي الشربات، وشه مبتسم دائماً رغم حمله التقيل كان عنده اربعتاشر عيل وجوز نسوان، وكان مثال الاستقامة والانضباط ويمكن ده هو اللي خنق الشاعر جواه، أنا قريت له قصيدة واحدة كان ناشرها في فرخ ورق ومطبقه على أربعة يعني 8 صفحات وبعد ما قريتها سألته:

- إنت ليه ما تكتبش؟

قال لي:

- أمال أمك اللي كاتبه ده؟

قالت:

- لا. صحيح.

اتنهد بحرقة وقال لي:

- الشعر دا عايز البال الرايق.

قلت له:

- وأنت إيه اللي معكر بالك؟

قال لي:

- ولاد الحرام اللي زيك.. لكن زيك إيه.. أنت مالكش زي.. ابن الحرام بيبقى مشكوك في أبوته لكن أنت مشكوك في أمومتك.

وكان له بيت شعر بيحاول إنكاره خوفاً على لقمة العيش.. بيقول:

كل الزملا بتدعي تمللي

يخرب بيت عبد المتجلي

اللي هو طبعاً السفرجي العجيب بعد ما استفحل وبقى وكيل وزارة.

أما قصيدته العبقرية الوحيدة التي كتبها عن طفولته في قرية بهنباي شرقية فمع الأسف الشديد أنا مش فاكر منها كتير:

في بنهنباي شرقية

في دار أهلنا

مدفن أبونا وجدنا

في أغلى حتة عندنا

قضينا أيام الصبا

وسط الأراضي الطيبة

اللي حصاها.. مرتبة

للي قعد

واللي حبا

والري ترابها

عرف كفوفنا والقدم

قبل الجزم

في بهنباى

*

الترعة تجري في ضهرها

وفي صدرها

وأنا وعزب

وابن اسماعين

شيخ العرب

على إيديهم كنت أعوم

في كل يوم

أغطس وأبلبط

وانتشي

ولا أختشي

م العمدة حتى لو مشي

في بهنباي

مع الأسف أنا مش فاكر غير دول، وعلى فكرة أنا ظبطت نفسي متلبس بالسرقة من الأستاذ محمد المصري في قصيدتي "الليل ع الطريق":

ينفخ في بطن الأرض

تحبل

تنتشي

ما تختشي

من أي كائن لو مشي

فوق ظهرها

الأول قعدت أكابر وأقول دا مجرد توارد خواطر والآخر اقتنعت إنه توارد قصايد!

الشئون الفنية بقى اللى محتلة الدور التاني جنب مكتب السكرتير العام وملحقاته.. دي اللي حيرت أفكاري.. فنية في إيه؟ يعني إيه الفن اللي بتفنه؟ مستتقع نسوان على ثلاث أربع شبان مرخرخين ما تعرفش بيعملوا إيه!.. ودول بقى اللي بيسافروا المؤتمرات ويأبجوا الدولارات ويجيبوا بضايع بورسعيد من قبل بورسعيد ما تفتح!!

والمدهش إن كل المؤتمرات سواء اللي هنا أو اللي بيسافروا لها بره كانت بتتمخض عن ورقتين مكتوبين ع الرونيو يلبس يوسف بيه نضارة القراية ويكرهم والتليفزيون يصور وتطلع في نشرة الأخبار وكان الله بالسر عليم!

المنظمة دي كان فيها الهند والصين والاتحاد اللي كان سوفييتي يا ولداه واليابان والعراق ولبنان وزنزبار ومالاوي وحاجات من هذا النوع، ودول كلهم كان لهم مندوبين قاعدين في الدور الثالث معايا أنا والإرزه اللي حاطينهولي في المكتب يرغي ويكتب شعر من ماركة شرايين اليأس ويناقشني فيه.

وذات يوم طب علينا في المكتب علي الهندي..؟ دا يا سيدي سجان قابلته في سجن أرميدان وكان عنده داء منيل اللي هو كتابة الأشعار والأغاني بقصد تلحينها وغناءها في المذياع.. ودا كان بييجي على دماغي.. أنا أول مرة قابلته كان بقى له أربعتاشر سنة بيقدم إنتاجه للإذاعة ويترفض! وكان كل ما يترفض له نص يقدم بداله اتنين فيترفضوا فيقدم أربعة وهكذا إلى أن وصلت الدفعة الأخيرة إلى 128 نص... مرفوض ومع هذا كان مليء بالتفاؤل مش عارف ليه! وكان علي الهندي لما يكلمك يحط بقه في وشك ولو أنت اتراجعت هو يتقدم عشان يحتفظ بنفس المسافة ولو اتفتح في الكلام ما ينسدش وكان بيتفتف وهو بيتكلم.. شوف الكائنات بنت العرص اللي ممكن ربنا يبتليك بيها وأنت ماشي في حالة لا بيك ولا عليك!

أنا لسه بافكر أخلع إزاي من شاعر الشرايين وإذ بالأستاذ الهندي هالل علينا من باب المكتب.. قلت في سري ياما انت كريم يا رب، قمت خدته بالحضن ودوغري رحت لاضمهم في بعض:

– الشاعر الكبير الأستاذ شرايين اليأس.. ودا شاعر الوجه البحري الأستاذ علي الهندي..

سلموا على بعض بحرارة، قلت لهم:

– أطلب لكو اتنين شاي؟

وقفلت عليهم الباب من برا بالمفتاح ونزلت عملت الاصطباحة الجميلة عند محمود الباشا ورميتهم من دماغي. الساعة اتنين إلا ربع قمت عشان أمضي انصراف وأروح افتكرتهم طلعت جري حطيت ودني ع الباب سمعت ودودة فتحت لقيت شاعر الشرايين جابد علي الهندي بالكرسي وماسك رجليه بركبه وحاطط بقه في ودنه وبيرغي والتاني نايم ووشه مزنهر وريالته نازلة قلت له:

- قتلته يا كافر؟

وإذ بعلي الهندي يصحى مفزوع وهو بيقول:

- يا ساتر دماغي.. إيه ده.. ياهو.. دماغي بتتمل.. يا ستار يا رب.. فيه إيه؟ أعوذ بالله!

قلت له:

- حد يعمل كده في ضيفه كده برضه؟!

قال لي:

- ضيف مين يابو خاله؟.. دا واد مافيش في وشه نقطة دم.. دانت سايبنا تسعة ونص.. لغاية اتناشر يا مؤمن مش عارف اسمعه مطلع.. ساعتين ونص ماخدش نفسه.. وجاي أنت تقول لي ضيف.. وبعدين دا لا شاعر ولا دياولو.. دي بلد حظوظ وشهادات..

وهرب علي الهندي من جحيم شرايين اليأس وبعدها ماورانيش خلقته الشريفة.

*   *   *

أنا متطير.. باتفائل واتشائم من أيها حاجة.. يعني في التفاهة الشديدة، ولما سألت سعد الموجي عن معنى التسمية الرسمية لحوش آدم اللي هو خوش قدم قال لي:

- يعني قدم الخير.

قلت:

- اللهم اجعله خير.

وبدأت البشاير تهل.. القعدة عند محمد علي بتتوسع كل ليلة وتزيد.. أصدقاء سعد الخلص بدأوا يدمنوا السهر وسماع الشيخ إمام والسياحة الروحية في صفحات الطبقات الشعرانية وغيرها من كتب الصوفية الأمهات وبصوت سعد الجميل.

وجيه القاياتي المحامي ابن السادة القاياتية.. صديق عمر سعد وزميل دراسته وزميله في منظمة الشباب الاشتراكي رغم انحداره من أصول برجوازية في ريف محافظة المنيا.. ابتسامة صافية كأنها جزء من ملامحه وعقل متفتح وقلب دافي مشحون ومشجون بحب مصر العزيزة.. مش بس مصر الأثر الخالد.. لكن مصر المستقبل أيضاً.. "مستقبل بنته الجميلة الوحيدة حنان".. وأوزوريس القاهري ابن حي شبرا النابغ اللي درس تاريخ مصر المحروسة واتخرج بتفوق واتعين مفتش آثار في الأقصر، وكنا بنحسب ليوم أجازته الشهرية، وكان بينزل من

القطر على حوش آدم أولاً وبعدين يروح شبرا وكان بيمتعنا بكلامه الجميل عن الأسلاف العظام.. كان بيتكلم عن كل واحد منهم وكأنه من بقية عيلته وكان بعد كل وجبة ثقافية يقدمها لنا يضحك ويقول:

– المهم.. الناس دول أدهشوا وحيروا كل اللي اتعرف عليهم ماعدا إحنا!

وفؤاد السبكي الفلاح الشرقاوي اللي هبط قاهرة المعز عشان يدرس ويتفوق في حياته الدراسية والعملية ويسافر الهند وباكستان وبنجلاديش ملحق تجاري ناجح وجنب دا كله يكتب الشعر بموهبة رصينة ويرجع لنا من جولته الأسيوية بدنيا من الأساطير من موطن طاغور وإقبال وبسحرنا بحواديته الجميلة عن ناس قابلهم هناك بيعشقوا مصر المحروسة وشعبها الطيب الجميل وحلمهم بزيارتها في يوم من ذات الأيام.

وفريد القاياتي ابن عم وجيه المهندس الزراعي والراوية المبدع للشعر العربي والمتنبي على وجه الخصوص وبيرم اللي كان فريد مسميه عاشق مصر العظيم.. الأستاذ نظمي زميل سعد الموجي في الدراسة والعمل في مصلحة السياحة والراجل دا بالذات كان عنده طموحات مهولة في تطوير العمل السياحي في مصر وكان دايماً يعمل مقارنة بين الإمكانات المتواضعة للبلاد اللي نجحت سياحياً وإمكاناتنا

المهولة المعطلة بفعل اللصوص وتنابلة السلطان المهيمنين على العمل السياحي في مصر المحروسة.

الحقيقة أنا مش قادر أقدم شخصيات تاني لأن الحكاية حيطول شرحها اللى عايز أقوله إن دا الجو اللي اتولدت فيه فكرة التعاون بيني وبين الشيخ إمام.

إزاى؟ إحنا لما كنا بنسهر معاه ما كناش بالنسبة له مجرد سميعة، هو كان دايماً يقول لنا:

- أنتو عزوتي وناسي وأنا من غيركو جيص في قفص.

عشان كده لما كان بيغني كان بيجيب آخر ما عنده.. أنا لاحظت حاجة إنه في كل إعادة بيدي إضافات من عنده لا تقل أصالة وحلاوة عن اللحن الأصلي وذات مرة سألته:

- أنت ليه ما بتلحنش؟

قال لي:

- مش لاقي كلام وقور.

ضحك محمد علي وقال له:

- وقور إزاي يعني؟ لابس عمة!

قال له:

- لا يا سيد محمد.. كلام وقور يعني ما فيهوش تنطع.

قال له:

– إنت جيت تكحلها عميتها.. إذا كنت مش فاهم وقور ح افهم تنطع؟!

قلت له:

– أنا أديك كلام.

قال لي:

– دا شيء يشرفني يا أستاذنا.

أنا صراحة عجبتني حكاية يا أستاذنا دي رحت مطلع قلم وورقة وكاتب له النص التافه اللي سبق اديته لمرسي سعد الدين يوصله لأخوه بلبل وقريتهوله واديته الورقة حطها في جيبه وقال لي:

– إن شاء الله يكون.

وفات يوم والتاني والتالت وأنا على أحر من الجمر وفي الوقت نفسه مكسوف اكلمه إلى أن كان يوم اصطحبنا سعد الموجي على بيت الشيخ عبد السلام الموجي والد سعد رحمة الله عليه.

لهفنا العشوة الجميلة وبدأنا السهرة وفوجئت بسعد بيقول بأدبه وتواضعه الشديد وابتسامته الجميلة:

– كلنا شوق ولهفة لاستقبال أول مولود فني من مولانا والأستاذ نجم..

فرد إمام:

– يكون بإذن الله.

وضحك سعد وقال:

– دانتو بتشتغلوا من ورانا بقى!

قلت له:

– والله أنا منتظر زيك ويمكن أكتر.

فقال إمام بلهجة اعتذار:

– معلش يا أستاذنا أنا أصلي كسول ووحش.

قلت له:

– العفو يا مولانا إذا كان النص مش عاجبك أكتب لك غيره.

راح سعد الموجي مديني ورقة وقلم وقال لي:

– قول مدد يا سيدي عمر وتوكل على الله.

قلت له:

– طب أعرف سيدي عمر مين الأول.

قال لي:

– سيدك عمر بن الفارض سلطان العاشقين.

قلت:

– مددين.

وبدأت أكتب:

– أنا أتوب عن حبك.. أنا؟

أنا ليَّ ف بعدك غنا!

دنا باترجاك

الله يجازيك

يا شاغلني معاك

وشاغلني عليك

وإن غبت سنه

أنا برضه أنا

لا أقدر أنساك ولا ليَّ غنا

ولا أتوب عن حبك أنا

وفي خلال نص ساعة كان النص انكتب وفي خلال نص ساعة تاني كان اتلحن وفضلنا نغنيه طول الليل وكان دا أول عمل بيني وبين الشيخ إمام..

* * *

ما بين دا قال

ودا بيقول محيرني ف هواك

على طول

تغيب عني يا دوب ساعتين

تجيني بكلمة قالها عذول

ويتمد الخصام ليلتين

في قلبنا وقال

وشرح يطول
محيرني.. ومتحير
وكل دقيقة تتغير
عشان دا قال
ودا بيقول!

* * *

تصوروا إن الكلام التافه ده كان السبب في شقلبة حياتي!! ما هم هما دول يا سيدي البقين الزفرين اللي شافني الدكتور مرسي وأنا باكتبهم فعجبوه! فخدهم لبليغ يلحنهم!

بس أنا بقى من ساعتها بدأت أتعامل مع نفسي باعتباري شخص ذو أهمية فبدأت أغير مشيتي وطريقة كلامي وأسرح شعري بالصابون، ولو كانت الإيد طايلة كنت غيرت ملابسي بالكامل.. بس معلش مسير القرش يجري في إيدي وآكل ما يعجبني وألبس ما يعجب الناس.

كمان بدأت رجليا تعرف سكة معهد الموسيقى العربية.. كل عصرية أنط لهم زي قرد قطع، واخش البوفيه عدل، وما أدراك ما البوفيه؟ حاجة كده تفكرك بجبلاية القرود.. شلة مقاطيع واقفين على أول سلمة من سلالم المجد وكله في الضربان الشديد اللي مطول سوالفه تشبهاً بعبد الوهاب القديم، واللي لابس شورت وقميص وبالطو في عز الصيف! واللي قاعد يكلم نفسه واللي قاعد ما بيكلمش نفسه واللي لابس

شنبر نضارة من غير قزاز واللي واقف يلعب حواجبه في المرايا واللي لامم حواليه شلة بيسمعهم كلام مش مفهوم! هو يقول وهما يمصمصوا شفايفهم ويقولوا:

– يا عيني كمان.

والأغرب من دا ودا شخص تخين وقصير وماسك عود قاعد ينجد عليه بزعم أنه بيلحن أغنية اسمها "غرام في البستان"، وبقى له سنتين بيلحن في المطلع اللي بيقول:

يا شاغلني ومشغول عني بجوافاية
طب رد عليَّ وخد لك منجاية
يا بلحتي في أيامي الرايحة
يا فضيحتي في أيامي الجاية
خد لك منجاية بجوافاية
منجاية النايه كوا النايه!!

الراجل ده أنا حاولت أعرف اسمه ما أمكنش.. كان بعضهم بيناديه بـ"أبو الزيك الرايق".. وكنت كل ما أقرب منه يبعد عني.. مش عارف ليه؟.. يبدو إنه كان بيتشائم مني.. المهم إنه كان عنده ثقة أكيدة إن أم كلثوم حتغني اللحن ده في يوم من ذات الأيام.

* * *

الفاجومي (14)

وهلِّت المصــائب..

بقـصيــــدة

كلـــب أم كلثوم

ذات عصرية واحنا قاعدين في بوفيه معهد الموسيقى العربية. حصل هرج شديد في الطرقة اللي جنب باب البوفيه، وقامت الناس تجري

حبتين وبدأت المهمة..

- بليغ.. بليغ أهه.

- والله صحيح.. دا بليغ أهه.

- ومين اللي متشعلق في دراعه ده؟

- دا واد شاعر لسه جاي م الصعيد بشحمه.

- وماله متأبد في دراع بليغ كده؟

- فرصته.

- يبقى حيوصل.

- عقبالنا..

ولقيت نفسي بجرأة غريبة باقتحم الموكب..

- أهلا بلبل.. أنا الشاعر أحمد فؤاد نجم.

حاول يتجاهل.. ما اديتلوش فرصة..

- أنا زميل الدكتور مرسي.

قال لي:

– آه.. أهلاً.. أنا خلاص ح الحن البتاعة دي.. قال ويقول.

تصدق وتؤمن بالله؟.. أنا بعدها ما سمعت حاجة.. رجعت ع البوفيه نافش ريشي، وورايا شلة سلالم المجد اللي اتلموا حوالية لأول مرة عشان يباركو لي وياخدو فكرة عن الموضوع.. فبدأت أتعامل معاهم بألاطه.. حطيت رجل على رجل وزعمت إن أم كلثوم اتجننت أما سمعت الكلام، وصممت إنها تغنيه.. وأنا الحقيقة لسه بافكر في الموضوع!

لكن وعدتهم إني في خلال أسبوعين ح آخد قراري، وشطح بي الخيال لدرجة إني فكرت جدياً في فتح حساب في بوفيه المعهد لولا إن عمر قرني الجرسون أجهض الفكرة لما قال لي بصريح العبارة:

– هنا.. مافيش شكك يا حلاوة.. هنا جبتو لا رجاه.. مسكتو مشروب! مافيش لا رجاه يقعدوك ع الكرسي بالمقلوب.. وقوم بقى هوينا..

* * *

في هذه الأثناء كان إنتاجنا، الشيخ إمام وأنا بدأ في التتابع.. صحيح مش بشكل غزير لكن في تقديري كانت النوعية جيدة إلى حد ما يعني مثلاً في أغنية عشق الصبايا:

حبيت سواد العين سنة

ونسيت صباحي

وغرقت في ليل الضنا
عطشان وصاحي
ولما بان ورد الشفايف
لون جراحي
طاوعت قلبي ورحت له
والشوق ورايا
شوف الحكاية يا وله
شوف الحكاية
عشق الصبايا يا وله
طول معايا!

* * *

أهم من العلاقة الفنية كانت العلاقة الإنسانية بيننا كل يوم بتنمو وتتوثق كل يوم عن اللي قبله وبدأنا نحكي ونتحاكى.

عرفت عن الشيخ تعلقه الشديد بأمه ونفوره المصحوب بالخوف من أبوه اللي كان حزمه في تربية الشيخ إمام بيصل في أحيان كتيرة إلى حد القسوة وعلى الجانب التاني كان فيض من الحنان والحب بيتدفق عليه من قلب الأم اللي كان إحساسها بالذنب بيتحكم في تصرفاتها حيال الشيخ إمام.. لأنه كان أصيب بالرمد الحبيبي وهو لسه

رضيع ولجأت أمه للداية اللي عالجته بحشو عينه بروث البهايم عدة مرات حتى فقد البصر تماماً..

– كانت الله يرحمها بتحمل نفسها الذنب، وتفضل تبكي بالساعات، وأنا في حضنها.. وكانت يابو النجوم بتقتل نفسها من البكا لو سمعت أن حد م العيال قال لي يا أعمى.

أما الواقعة اللي سابت أثر جارح وأليم في نفس الشيخ إمام ولما حكاها لي أول مرة كان جسمه كله بيرتجف والعرق بيشر منه رغم برودة الجو، بعد ما ختم القرآن في كُتَّاب قريته – أبو النمرس – انتزعه أبوه من حضن أمه وخده على مصر وسابه في الجمعية الشرعية.

والحقيقة إني على مدى خمسة وعشرين سنة من عمر صداقتي مع الشيخ إمام حاولت أفهم منه ليه أبوه وداه الجمعية الشرعية؟ أو يعني إيه الجمعية الشرعية أو شرعية بالنسبة لإيه؟ أو مين اللي عملها شرعية؟ لا أنا فهمت ولا طلع هو كمان فاهم حاجة!!

المهم قعد الشيخ إمام ياكل ويشرب في الجمعية الشرعية، ويبات فيها كمان إلى أن ضبط متلبساً مع سبق الإصرار والترصد بجريمة الاستماع إلى صوت الشيخ محمد رفعت وهو بيقرا سورة مريم في راديو القهوة فطردوه شر طردة مشيع باللعنات إلى الطريق العام وهو مازال في طور الطفولة فلم يجد له مأوى يا ولداه غير رحاب سيد الشهداء

الحسين بن علي رضي الله عنه، فأقام في المسجد إقامة دائمة إلى أن كانت ذات ليلة بعد صلاة العشا سمع اللي بيقول له:

- مساء الخير يا مشيخة.

رد الشيخ إمام بأدبه المعهود:

- مساء الهنا يا محترم.

قال له:

- إنت حافظ القرآن؟

قال له:

- إن شاء الله.

المهم.. فضل دا يقول ودا يرد عليه وانتهى الحوار بأن الراجل ظرف الشيخ إمام مبلغ جسيم الشأن كعربون وسحبه من إيده وخده عشان يحيى ليلة قرآنية في بيته على وعد تأبيج باقي المبلغ آخر الليل.. وبعد شوية مشي سخنين فوجئ المقرئ الطفل بصاحب الليلة المزعومة بيصفعه تلات أربع مرات أفقدوه الوعي وخد منه العربون والكام قرش اللي جمعهم طول النهار من أهل الخير زوار ضريح الحسين، وقلّعه الجبة والعمة والملابس الداخلية وخدهم وسابه ملط بعد ما اعتدى عليه بوحشية، وبعد مرور ليلة رهيبة اكتشف الطفل إنه في قرافة المجاورين.. الحادثة البشعة دى تركت آثار جارحة في مشاعر الشيخ إمام فيما بعد، وكانت هي السبب في فشل زواجه الوحيد لأنها

كانت بتطارده في كل وقت ومكان حتى في فراش الزوجية اللي ما استمرش أكثر من سبعة أيام ثبت فيهم عجز الزوج عن ممارسة وظيفته وتسليمه بهذا العجز وسعيه للانفصال السريع عن الزوجة الوحيدة في حياته.

* * *

غير كده أثار وجودي في حوش آدم مجموعة من ردود الأفعال المختلفة مثلاً.. كان في حوش آدم منشد مشهور من منشدي الإذاعة وكان الشيخ إمام بيشتغل معاه في البطانة في مقابل العشوة المتينة والتحشيشة الفُللي آخر الليل.

أخونا المنشد ده هو وجيله كانوا عايشين على تراث المنشد المجيد الشيخ علي محمود، نفس الكلام ونفس الألحان يقولوها في الإذاعة وسهرات المساجد، وكذلك الأفراح والليالي الملاح يعني على رأي الملحن الموهوب المرحوم عزت الجاهلي:

– يا عم الشيخ أبو العينين.. بوس إيدك وش وظهر أنتو لا بتدفعوا لمؤلف ولا لملحن، وعمالين بس تعبّو في شرايط واسطوانات وتتلايموا على الفكة وتجمدوا وتشتروا عزب ربنا يخرب بيوتكم.

وفي ليلة من ذات الليالي طقت في دماغ المنشد المذكور فكرة التجديد والتطوير زي عبد الوهاب ما بيقول، طرح الموضوع على بساط البحث، وبعد شد وجذب اقترح الشيخ إمام اختيار كلمات مجهولة

المؤلف يقوم الشيخ إمام بتلحينها على طريقة أستاذه العظيم الشيخ درويش الحريري، وعجبت الفكرة عمنا المنشد المشهور، واختاروا عدة أبيات من بردة البوصيري وطبقات الشعراني ووضبوا الطبخة الفنية وراحوا سجلوا في الإذاعة وأبجوا المبلغ عن كلام الإمام البوصيري وألحان الشيخ إمام بعد ما نسبوا التأليف والتلحين للمنشد المشهور اللي ضميره نقح عليه فأضاف لمخصصات الشيخ إمام فوق العشوة والتحشيشة مبلغاً وقدره خمسين قرش صاغ بالكمال والتمام باعتباره ملحناً من الباطن ومشيت المسائل آخر حلاوة على هذا المنوال تلات أربع سنين إلى أن أهلت طلعتي الميمونة على حوش آدم وبدأنا نشتغل سوا فعمنا الشيخ إمام دلق المنشد المذكور، فبالتالي اعتبرني خطفت منه الفرخة اللي بتبيض الدهب فسقط عليَّ أخوه المزين يقابلني بالأحضان وأول ما اتلفت يقول للناس:

– دا واد جاسوس إسرائيلي ابن كلب زارعينه هنا في حوش آدم ونهايته إن شاء الله حبل المشنقة وعن قريب بإذن واحد أحد.

كل دا وأنا في غفلة ربنا لا أعرف حاجة عن علاقة الشيخ إمام بالمنشد أخو المزين ولا عن مشروع التجديد والتطوير اللي باظ بسبب علاقتي بالشيخ إمام ولا حتى عن عملي مع الموساد الإسرائيلي.. والحقيقة إن أنا لغاية دلوقتي مش قادر أفهم.. ليه إمام كان بيخبي عليَّ الموضوع ده؟

لكن برضه فيه اختراع اسمه بركة دعا الوالدين.. وهو دا اللي أنقذني من المصير الدامي اللي كان بينتظرني على إيدين الناس.. الكلام ده كان في أوائل الستينيات، وكانت إسرائيل اسمها الكيان الصهيوني العنصري التوسعي، وأحياناً رأس الجسر للإمبريالية العالمية، وكان الشعور بالعداء تجاهها متأججاً سواء على المستوى الشعبي أو على المستوى الرسمي.

يعني شوف المزين ابن الحرام كان بيدبر لي في إيه، وأنا ما أعرفش، لكن يشاء السميع العليم إن المزين المذكور يضبط متلبساً بسرقة الخشب والأسمنت اللي مشونهم المقاول لعملية ترميم جامع الفكهاني، وكانت فضيحة بجلاجل هزت ثقة الناس في ذمة المزين، وبالتالي أسقطت دعاواه ضد العبد الفقير، وأطلق عليه على أبو شهبة اسم – بن جوريون اللي ياكل مال النبي ويغمس بالصحابة، – وشيللاه يا بركة دعا الوالدين.

* * *

كل يوم عن الثاني كنت باتمكن أكتر من صنعة الشعر لأني كنت بافهم أكتر من خلال الاحتكاك بالشباب المثقف في سهرات حوش آدم الممتعة، ومن أهم القناعات اللي اعتنقتها في الفترة دي قناعة إن الفن بشكل عام وعلى الخصوص الشعر كائن حي.. يعني الشعرا بيخلفوا

القصـايد زي النـاس مـا بيخلفـوا العيـال، وزي مـا العيـال أقـدام وأعتـاب ونواصـي برضـه القصايد كده.. فيه قصيدة تسعد وقصيدة تتعس.

مثلاً.. شاعر العرب الأعظم أبو الطيب المتنبي وهو بيولد طفله الجميل قصيدة – واحر قلباه – لو كان يعرف إنها حتجيب أجله على الأقل كـان لـم ألأتـك حبتـين، ومـا كـنش فيـه أي داعـي يكتـب البيـت المنكود:

الخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

لأن الواد الشمحطي اللي قطع عليه الطريق اصطاده منه وقال له ما معناه:

– مش أنت برضه اللي قلت كيت وكيت؟

خليك مطرح المتنبي.. تعمل إيه؟

أنا عن نفسي لو مطرحه ما كنتش جبت ورا.. على الأقل من باب الحماقة.. وهو دا اللي عمله الشاعر العظيم لأنه رد على الواد الصايع بما معناه:

– أيوه يا سيدي أنا اللي قلت كده وأعلا ما في خيلك اركبه.

ويقـال والعُهـدة علـى الـراوي إن الولـد كـان مخبـر فـي أمـن الدولـة الإخشيدية ومزقوق ع المتنبي بعد ما توالت التقارير السرية عن عضوية

الشاعر العظيم في التنظيم السري للقرامطة، وطبيعي تبقى التصفية الجسدية هي رد الفعل السلطوي الوحيد لدولة بيحكمها العسس.

شفتوا بقى المتنبي خلف إيه؟

فيه بقى قصيدة مبروكة زي العيل اللي يسعد أهله.

مثلاً الشاعر إبراهيم ناجي اللي سود الأوراق وخلص المحابر غزل في محبوبته المجهولة حتى كتابة هذه السطور.

كان يعرف منين إن واحدة من غزلياته الجميلة حتتحول بعض أبياتها إلى أغنية جميلة اسمها – الأطلال يلحنها السنباطي العظيم وتغنيها أم كلثوم بجلالة قدرها ويقولوا عنها المزيكاتية الخواجات إنها – سيمفونية العرب – ويتحول حق أدائها العلني إلى نزناز فلوس يفضل يخر على دماغ الورثة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

حتى عمنا بيرم رغم أنه كان حماية فرنساوي – ويمكن ده اللي خلاه يحط الملك فؤاد في دماغه ويفضل يكيل له من المنقي خيار قصايد من ماركة:

ولما عدمنا بمصر الملوك

جابوك لنجليز يا فؤاد قعدوك

تمثل على العرش دور الملوك

وفين يلقوا سافل نظيرك ودون.

لغاية ما يقول له في نهاية القصيدة:

بذلنا ولسة بنبذل نفوس
وقلنا عسى الله يزول الكابوس
ما نابنا إلاَّ عرشك
يا تيس التيوس
لا مصر استقلت
ولا يحزنون

ولما مرت المسألة بسلام تصور عمنا بيرم إن الحماية الفرنساوي حتحميه من نحس القصايد اللي تتعس وبطش الملك فراح رازعه قصيدة القرع السلطاني وكشر الملك عن أنيابه وضرب بالحماية الفرنساوي عرض الحيط ونفى بيرم من مصر اللي روحه فيها وقعد في المنفى تستعاشر سنة واتلطم فيهم وشاف الويل وكتب بدمه قصايد العشق الخالدة اللي بيقول في واحدة منهم ويوصف حاله في الغربة:

لا سطل خروب يسعفني
ولا ابن نكتة يكفيني
ما يقصف العمر ويفني
إلا الخلايق بعبلها
يا مصر هجرك يكفاني
يا عاملة قمع وناسياني
دا يوم ما ح ارجع لك تاني

حتبقي رجعة برسمالها

وفيه بقى شعرا وشعارير خلفوا قصايد سعيدة عملت لهم أرصدة في البنوك بالعملة الصعبة والسهلة وبنوا منها قصور بحمامات سباحة على شط النيل والكنال وركبوا الزلمكة والشبح واتجوزوا نساوين من بتوع الإعلانات واللهم لا حسد.

العبد الفقير بقى خلف قصايد م اللي تزعل السلطان وتفتح باب اللومان وطبعاً كل قصيدة منهم كان لها حكاية لكن قبل ما أحكيها أحب من كل مؤمن يوحد الله ويسمعني صلاة النبي.

* * *

كلب الست هي البكرية.. يعني المفروض إني أسميها أول الفرحة.. لكن فرحة مين؟ دي عملت لي مشاكل مالهاش حل.. كل صحابي أول ما سمعوها حصل لها انفهاش من النوع البلاهوني.. وحقولك ليه؟

الفاجومي (15)

الليثي عبد الناصر:

آلو يا أنور السادات:

تمــام يـافنــدم

المعروف عني إني طول عمري من دراويش الست أم كلثوم.. عاشق صبابة ومغرم متيم بصوتها السماوي الساحر وفنها الأصيل.. مش بس كده.. دا أنا كنت هاريهم كلام في الموضوع ده.. وأحياناً ما كنتش باستكفى بالمعلومات الصحيحة فكنت باخترع معلومات من عندي تحلي الكلام وتسخن القعدة.

وكنت لما باسخن باتكلم عن زكريا والسنباطي والقصبجي وبيرم وأحياناً شوقي باعتبارهم أصدقائي بنقعد سوا وبناخد وندي في الكلام ورافعين الكلفة لدرجة إنهم بيقولولي:

يا أحمد وأنا أقولهم يا زكريا ويا رياض ويا بيرم وهكذا، ممكن السامعين ما كانوش بيصدقوا أكاذيبي.. لكن ما كانش حد فيهم بيعترض وكانت ليالي الست ما تحلاش إلاَّ بالعبد الفقير.. كان الشاطر في صحابي هو اللي يخطفني بدري ليلة الست عشان القعدة تحلا طب إزاي بقى أنا أكتب القصيدة دي؟ أنا ح أحكي الحكاية من أولها ورزقي على الله.

كنا في أوائل الستينيات يعني في عز الاشتراكية وتحالف قوى الشعب بعد ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد بحوالي عشر سنين يعني كان الطب اتقدم جداً والناس اتنورت وبقينا مواطنين لا

رعايا إلى آخر الشعارات النميسة دي! وذات صباح جميل طلعت علينا الصحف القومية الثلاثة الأهرام والأخبار والجمهورية بخبر عجيب، ودون أي تعليق اللي فاكره إن كمال الملاخ أبرز الخبر في صفحته اللي في ضهر الأهرام بعنوان – من غير عنوان – أبرزه إزاي؟ عمل حواليه دايرة حمرا ما أعرفش بقى يقصد إيه؟ المهم إن الخبر بيقول حفظ التحقيق في قضية كلب أم كلثوم وبعد كده حيثيات الحفظ العجيبة! إيه الحكاية؟ قالك إن طلبة معهد التربية بالهرم كانوا عاملين يوم رياضي مع طلبة كلية الفنون الجميلة بالزمالك – يعني ورا فيللا أم كلثوم – وكانت المسابقات حتقام على ملاعب كلية الفنون.. حلو كده؟ طبعاً بعض الطلبة راحوا الزمالك بعربياتهم الخصوصية وبعضهم خدوها موتورجل.. الإخوة تبع الموتورجل فايتين قدام فيللا أم كلثوم وإذا بكلبها العزيز المدلل ينط من السور يبقى في الشارع وينشن على أفقر طالب اللي هو المدعو إسماعيل خلوصي ويروح ناطط في كرشه مبعتره بدون سابق معرفة، وبكده يا أصدقائي يبقى مشروع عمكو خلوصي أبو إسماعيل اتدمر تماماً.. لأن المفروض أن أبو السباع كان حيتخرج مدرس ألعاب رياضية وتبتدي العيلة تاكل من خيره لكن بعد العاهات المستديمة اللي تخلفت عن الهجوم الكلبي المباغت مابقاش سمعة ينفع لا طبلة ولا طار ويبدو أن إسماعيل كان مصدق الحدوتة زي حالاتي فخطف رجله على نقطة كوتيسكا في الزمالك وحرر محضر بالواقعة

ويبدو كمان إن الظابط الشاب اللي كان في النقطة كان مصدق زي حالاتي أنا وإسماعيل إن الشرطة في خدمة الشعب فعمل المحضر اللازم وحوله للنيابة العامة وحول الطالب للقومسيون العام للكشف الطبي عليه وإثبات الإصابات وإذ المفاجأة تنفجر أمام وكيل النيابة بعد معرفة شخصية العاضض بأمر الله على أثر مجموعة من المكالمات التليفونية المحمومة اللي بتأمره بسرعة حفظ التحقيق.

طبعاً حيتهيألك إن وكيل النيابة المسكين حيقع في حيص بيص إزاء كتابة حيثيات الحفظ.. لكن أرجوك.. بلاش تشاؤم ولازم تعرف إن إحنا اللي دهنا الهوا دوكو وعلمنا النمل يمشي طوابير وخرمنا التعريفة ذات نفسه.. إقرا بقى كده الحيثيات:

"إن الخدمات التي أدتها أم كلثوم للدولة كفيلة بأن تعفيها وكلبها من المسئولية الجنائية"!!!

عليَّ الطلاق بالتلاتة شافعي ومالكي وأبو حنيفة إني لغاية كده وكنت مستعد أدافع عن الكلب المحروس ومش مهم نظرية إسماعيل خلوصي ولا مدرس ألعاب ولا معهد التربية ذات نفسه.. لكن الصحفجية تبعنا ماخلصهمش إن المسائل تنتهي كده وإذا بصحفجي جمهوري يعني في جريدة الجمهورية يعمل ريبورتاج بالصوت والصورة في صفحة – أضواء المدينة – طبعاً مصورين الواد تلات أربع صور في مبنى النيابة وبيقولوا على لسانه – أنا سعيد لأن اللي عضني كلب أم كلثوم!!! – يا

ولاد الكاااالب.. قلت لأ بقى ما بدهاش وهب للنبي وكرسي في الكلوب ورحت فاقع القصيدة اللعينة اللي بتنتهي كده:

هيص يا كلب الست هيص
لك مقامك
في البوليس
بكره تتولف وزارة
للكلاب
يا خدوك رئيس

* * *

أول رمضان أقابله في حوش آدم كان شايل لي كيس من الهدايا والمفاجآت المدهشة..

بدأت بالفطور في بيت الشيخ والفطور في بيت الشيخ معناه الاستمتاع بما لذ وطاب من الوجبات الرمضانية وغير الرمضانية من يد ست الكل الحاجة أم سعد.

وبعد الفطور وصلاة العشا والتراويح اتنصبت القعدة.. أغلب الوجوه معروفة بالنسبة لي.. أحمد الموجي شقيق سعد الموظف وشقيقهم الأصغر الفنان جمال الموجي اللي كان لسه طالب بكلية الفنون الجميلة وعمهم سعيد الموجي وكيل الفنانين المعروف وعازف الإيقاع في تخت

أم كلثوم لكن الجديد في الموضوع شخص ربعة كبير الراس قدمهولي أحمد الموجي:

- أبو علي الموجي.

قلت له

- أهلاً.

قال لي:

- أهلاً بيك يا معقدني.. تصور إني بعد ما قريت كلب الست بطلت اكتب شعر!

أنا اعتبرت المسألة مجرد مجاملة.. لكن استكثرت عليه عبارة إنه كان بيكتب شعر من أساسه وخصوصًا وإني لاحظت أنه ما بيعرفش ينطق حرف السين والصاد.. بينطقهم شين فاحتقرته واديته الطرشة وبدأت أعمل أحاديث جانبية هامسة مع علية القوم من باب المنظرة!

حبتين وبدأ إمام يدوزون العود وفوجئت بيه بيقول:

- فين أبو علي الموجي؟

قال له الشخص:

- أنا معاك يا مولانا.

قال له:

- تعالى جنبي هنا.

قام قعد جنبه راح جمال الموجي مناوله علبة جلد سوداء مربعة فتحها وطلع منها رق مدندش وقعد يمسح بإيده على جلد الرق بحركة دائرية إلى أن انتهى الشيخ إمام من دوزنة العود وبدأوا يعزفوا مجموعة من البشارف والسماعيات الشرقية الجميلة وفوجئت بأبو علي الموجي بيحول الرق بين إديه إلى كروان ساحر الصوت والإيقاع بصيت على وشه لقيته رايح في غيبوبة وملامحه المنفرة بدأت تاخد شكل جميل رحت ناطط من ع الكرسي وقاعد تحت رجليه وكأني باعتذر له عن الجلافة وقلة الأدب اللي قابلته بيهم..

رحلة ساحرة مع المغني الأصيل غسلتني من ساسي لراسي انتهت ساعة السحور بالموشح الجميل اللي كنت بارده معاهم وكأني باكلم أبو علي الموجي..

مولاي كتبت رحمة الناس عليك فضلاً وكرم.

فالمرجع والمآل والكل إليك

عُربٌ وعجم

مالي عمل يصلح للعرض عليك

بل صار عدم

فارحم ذلي ووقفتي بين يديك

إن ذل قدمٌ

* * *

بعد الليلة دي بدأت علاقتي بحسن الموجي ابن خال سعد تتوطد.. هو كان ساكن في الحدايق وكان بقى له سنوات هاجر حوش آدم فبدأ ييجي كل يوم بعد ما يخرج من شغله ويفضل معانا لآخر الليل.

شخصية مركبة صعب التعامل معاها.. يعني عايز صبر.. فنان متعدد المواهب بيكتب ويلحن ويغني ويعزف ويمثل ويخرج ومع كل هذا ما حققش أي حاجة – وصل في الدراسة على سنة تالتة هندسة بتفوق مذهل وفجأة انتهى كل شيء وفصل من الكلية لتعدد مرات الرسوب!! فقد إيمانه بأي شيء وكل شيء.. عارف كل حاجة.. ومش مصدق أي حاجة.. كل شيء في الدنيا مترتب مسبقاً واللي مرتبينه اليهود.. حتى الكورة سياسية.. الأهلي والزمالك هما يهود الكورة وعشان كده هو كان بيشجع الترسانة.. الثورة وعبد الناصر.. كل دا مترتب ومافيش فايدة في أية حاجة.. كنت دايماً باختلف معاه وباسفه كلامه وكان الخلاف بيوصل لدرجة الصريخ.. لكن لما كان بيمارس الفن كنت باقعد قدامه مشدود زي التلميذ البليد.. يقولك:

إحنا شعب ندل.

*

نشتم المندار بوشه

والنصاحة

لو نغشه

ما احنا شعب ندل

الركوب في الزحمة يحلا

واللي يهبط

واللي يعلا

ما احنا شعب ندل

*

الدكاتره بالأونطه

ألف أهيف ع الزغطه

ما احنا شعب ندل

وبعد ما يعدد مجموعة من صور السلبية في حياتنا يقول:

قالوا لي ما قلتهاش ليه

في الإذاعة

قلت لهم إحنا شعب ندل

* * *

طبعاً القصيدة دي كانت بتستفزني وما كنتش باحب أسمعها وكان هو عارف كده فكان أول ما يقابلني يقول لي:

– إحنا شعب ندل.

وبعدين فضل يطورها لحد ما سماني أنا شخصياً "الندل الأعظم" وكان أبو علي الموجي ملموم على شلة محبطين من جيرانه في حدايق القبة بيبث فيهم أفكاره العدمية وكان مسميهم تنظيم "الحباط الأشرار" على وزن الظباط الأحرار.. وكانت هوايتهم ممارسة الشر ضد بعضهم وكان هو أكترهم عبقرية في توضيب المقالب لدرجة إنهم كانوا مسميينه – الأستاذ وسخ الموجي – هو كمان ماكانش مقصر في حقهم.. وشوف بيوصفهم إزاي:

أنا رمه

مافيش همه

وكان ممكن

أكون قمه

لكن خانني

غرور ظني

وكان ممكن

يوصلني

فرق تكه

قفل سكه

فقلت اركن

على الدكه

لقيت شله

مافيش مله

تجيب الفقر والذله

تلات تسطر

ترانزستور

يا رب استر

يا رب استر

*   *   *

وله في شكوى الزمان قصيدة كاتبها وملحنها بيقول مطلعها:

أنا حظي عجيب

وتمللي كده بيخلي العقل يطير

وحاجات ياما بتحصل لي

لما تمللي عاديكو باغير

م اللي الحظ بيديله

ويبقى عاطي له وعنده كتير

دنا متهيألي أفرقع

ولا أوقع نفسي ف بير

المهم إن حسن الموجي بوجوده معانا كان إضافة لها قيمتها للصوت اللي بعد كده طلع من حوش آدم ووصل لكل الأسماع العربية في شتى أنحاء الأرض.

* * *

الفقير من قلة حيلته بيحلم وعشان كده بيقولوا:

– "الجعان بيحلم بسوق العيش".

وساعات لما الحلم ما بيسعفوش بيلجأ للنميمة كنوع من أنواع الانتقام ولأن كل القوانين اللي في العالم موضوعة عشان تحمي الغني م الفقير فالفقرا بيعتبروا أي خارج ع القانون بطل شعبي.

كنا قاعدين في المنظمة – أهل تحت – وبنتكلم في التفاوت الاجتماعي الصارخ في مبنى المنظمة بأدواره التلاتة..

الفقير بيزيد فقر والغني بيزيد غنا..

وجرنا الكلام للسؤال السرمدي:

– طب وبعدين؟

الأستاذ عوف مساعد المخرج المزعوم حسم المناقشة ورد على السؤال:

– ما تتعبش نفسك يا تعبان أنت وهو.. فيه قانون بيحكم العالم وملخصينه في عبارة – يبقى الحال على ما هو عليه وعلى المتضرر اللجوء للقضاء – ولعلمك بقى يا مخشمون أنت وهو العبارة دي موجودة

فـي كـل لغـات العـالم! لكـن محمـد الأسـواني واحنـا مـروحين واسـتكمالاً للمناقشـة حكـى لـي حكايـة غريبـة عن عامـل سـويتش كـان فـي المنظمـة وسابها..

العامـل ده كـان عنـده تسـع عيـال وهـو ومراتـه وكـان مرتبـه تمانيـة جنيـه فـي الشـهر!.. يعنـي كـان فـي الـدمار لدرجـة إن يوسـف بيـه كـان مسكنه ببلاش في بيت قديم من بيوت العيلة في شبرا..

ويبـدو أن أخونـا ده كـان هـاري نفسـه تصـنت علـى المكالمـات فاكتشف علاقة متينة بين بعض الأِشخاص فمكدبش خبر.. طلب السيد أنـور السـادات اللـي كـان أيامهـا سـكرتير عـام المـؤتمر الإسـلامي وقلـد صوت الليثي عبد الناصر:

- آلو يا أنور.. أنا الليثي عبد الناصر..

- أهلاً يا فندم.. أهلاً أهلاً..

- أهـلاً بيـك أنـا ح ابعـت لـك ولـد اسـمه كـذا ابعـت لـي معـاه خمسميت جنيه..

- حاضر يافندم..

واستأذن صـاحبنا وخـرج من مبنـى المنظمـة وع المؤتمر الإسـلامي وجاب الظرف اللي فيه المبلغ وسدد ديونه ورش رشة جريئة على السعاة والفراشـين فـي المنظمـة وزعـم إن لـه عم مليـونير فـي البرازيـل توفـاه الله

وأنــه هــو الــوارث الوحيــد لهــذا العــم المليــونير. حلــو كــده؟ خلصــوا الخمسميت جنيه في ظرف شهر. أخونا قالك أعملها تاني و..

- آلو يا أنور.. أنا الليثي عبد الناصر..
- أهلاً يا فندم.. أهلاً أهلاً..
- أهلاً بيك أنا ح ابعت الولد تديله تلتميت جنيه..
- أمرك يافندم..

يقـوم يشـاء السـميع العلـيم إن صـاحبنا يحـط السـماعة مـن هنـا ويتصل الليثي عبد الناصر بالسادات من هنا ويبدو إن كان فيه حاجة مطلوبة فقال:

- طيب يا فندم لما ييجي الولد اللي أنت باعته ح اديها له..
- ولد مين؟
- الولد اللي سيادتك باعته.
- أنا باعت لك ولد؟
- أيوه يافندم دا هو في الطريق.
- طيب لما ييجي حوشه عندك أنا جاي فوراً..

* * *

الفاجومي (16)

تحقيـــق معــي

برئــاســــــة

السفرجي الملكي

المرة الأولانية عامل السويتش خد ظرف الفلوس من عند مدير مكتب أنور السادات وهو واقف.. لكن المرة دى فوجئ بمدير المكتب بيحتفي بيه جداً وبيقول له:

– دا السيد أنور السادات منتظرك عشان تشرب معاه فنجان قهوة.

بدأ الفار يلعب في عبه فوطن النفس على مجابهة الشدائد.

دخل المكتب لقى السيد أنور السادات بنفسه واقف يستقبله:

– هيه.. قهوتك إيه بقى؟..

– ساده..

– وأنت إزيك؟!

– نحمده..

– وإزاي الليثي بيه؟..

– بخير يبوس إيد سعادتك.

– أنت كنت معاه النهاردة؟!

– أنا معاه كل يوم..

وبعد سلسلة من الأسئلة التعذيبية دخل الليثي بيه.. صاحبنا راح قايم مبوط فيه وقال له:

– أنا ف عرض حضرة النبي يا بيه..

قال له:

- إنت تعرفني؟

قال له:

- وهو فيه حد ما يعرفكش.. دانتو عمام البلد وأجدع ناس فيها.
- أنا بعتّك تاخد فلوس من هنا؟
- ما حصلش يا باشا..
- أمال إيه اللي خلاك تعمل كده؟!
- الفقر يا ليثي بيه.
- أنت بتشتغل فين ياد؟
- في عزبة يوسف بيه في المنيل.. في منظمة التضامن يعني.
- طب وإزاي بتسرق وانت موظف؟!
- هو دا يا بيه مربط الفرس.

واقترح الليثي بيه تحويل المتهم للنيابة، لكن السادات فضل الاتصال بيوسف بيه لإبلاغه بجريمة أحد رعاياه، وفعلاً تم الاتصال وكان رأي يوسف بيه التكتم على الموضوع وإرسال الشخص مع مخصوص، وبعد سيل من الشتائم والتهديد كتب يوسف بيه على المتهم وصل أمانة بمبلغ الخمسميت جنيه على أن تسدد خصماً من مرتبه بواقع جنيه كل شهر!! يعني التمانية جنيه اللي دعوه للسرقة حيبقوا

سبعة وبعدين لازم يعيش كمان خمسميت شهر عشان يسدد آخر قسط!! واحد من ولاد الحلال كبرها في دماغ الواد وقال له:

- أنت دولة إسلامية؟

قال له:

- لأ.. أنا شخص مسلم.

قال له:

- خلاص خليهم يبلغوا النيابة.. هما مش حيقدروا..

فصاحبنا طلع ليوسف بيه وقال له:

- أنتوا عايزين تخصموا م التمانية جنيه؟ دا يبقى كفر.. دا نتو تبقوا إنجليز.. وعليّ الطلاق ما حد يخصم لي مليم لأبلغ النيابة..

فقام يوسف بيه كل الواد قلمين غيظ وطرده من المنظمة وعينّه في "روز اليوسف" بخمسة وعشرين جنيه.

بعد الحكاية دي بأيام غاب الأستاذ محمد المصري مندوب المنظمة لدى هيئة البريد بسبب مرضه فانتدبونا أنا ومحمد الأسواني بدله، وفي أول يوم واحنا رايحين مكتب البريد قلت لمحمد الأسواني:

- ما تيجي نسرق ونتعين في روز اليوسف بخمسين جنيه.

قال لي:

- نسرق إيه؟!

قلت له:

- نسرق طوابع.. هو يعني الورق الزبالة اللي بيبعتوه ده له لازمة؟..

قال لي:

- ولا المنظمة نفسها لها لازمة..

هب للنبي أرسلنا البريد من مكتب الملك الصالح، وعملنا الكشف على طريقة شرفنطح طلع لنا جوز جنيهات، هو خد ذهوب وأنا خدت ذهوب، واستمرت الحكاية دي أربع تيام كل يوم نطلع جوز جنيهات نفطر ونجيب الشاي والسجاير وفل الفل، وفجأة في اليوم الخامس لقيت محمد بيقول لي:

- إحنا كده ماشيين في طريق الهاوية.

قلت له:

- يا جدع كبر دماغك بلا هاوية بلا خرا.

قال لي:

- لا يا عم أنا مش جاي معاك.

قلت له:

- شوقك.

رحت البريد صدرت البوستة وطلعت لي جنيه لزوم الفطار والذي منه رجعت المنظمة فوجئت بالأسواني بيقوللي:

- حقي.

قلت له:

- جاك كسر حقك.

قال لي:

- يا تديني حقي يا أروح أبلغ.

قلت له:

- مطرح ما تحط راسك حط رجليك.

ابن المجنونة راح بلغ فعلاً وإذا بالدنيا تنقلب والقيامة تقوم وقوام قوام شكلوا لنا لجنة تحقيق برئاسة السفرجي الملكي.. يا ولاد الكاااالب.. وسين وجيم ما عجبنيش طريقة التحقيق بتاعة السفرجي لأن الشماتة كانت واضحة في أسئلته وطريقة تعامله معانا.. قلت له:

- أطلب لنا قهوة من المصاريف السرية.

قال لي:

- أنت حرامي وعينك قوية.

قلت له:

- أنت مين عينك محقق؟

قال لي:

- يوسف بيه.

قلت له:

- ينعل أبوك لأبو اللي عينك.

ورحت قايم مروح على أساس إني ما ارجعش المنظمة تاني.. وفي البيت لقيتني باكتب قصيدة عصفور وصياد:

يا صياد الطيور يا خال

صباعك عن زناد الموت

دنا عصفور ضعيف الحال

ولا اكفيش عيالك قوت

عجبتني القصيدة رحت كاتب منها نسخة وحاططها في ظرف وباعتها ليوسف السباعي، تاني يوم فوجئت بيوسف شخصياً جاي لي البيت ومعاه السكرتير الخصوصي، وخدني في عربيته ع المنظمة وفي مكتبه طلب لي قهوة وقعدنا نشربها في صمت وفجأة قال لي:

– أنت شاعر مدهش.. القصيدة جميلة جميلة جميلة.. لكن تقصد مين بالصقر؟!

قلت له:

– أقصد السفرجي الملكي..

فانفجر بالضحك وقال لي:

– اعتبر الموضوع منتهي وبكرة تيجي تستلم شغلك..

* * *

قاعد في مكتبي الفخم في المنظمة باحل الكلمات المتقاطعة وإذ بالدكتور مرسي يدخل عليَّ باسم المحيا وبيقوللي:

– بليغ بيسلم عليك وبيرجوك تروح لجنة الإذاعة تصرح النص لأنه تقريباً انتهى من اللحن.

يا عيني يا عيني يا عيني.. والله واتحقق الحلم وبقيت فنان مشهور يا فؤاد يابن هانم.. مدد يا سيدي سليم يا بو مسلم مدد يا بركة دعا الوالدين..

في هذه الأثناء كان حصل لي شرف التعرف على شاعر الشباب أحمد رامي بسبب قصيدة عصفور وصياد اللي قراها مع الأستاذ يوسف السباعي فقال له:

– أنا لازم أشوف اللي كاتب القصيدة دي.

ولما عرفت الكلام دا من الأستاذ حسين الخصوصي رحت قابلت الأستاذ رامي في مكتبه بالإذاعة، وقدمت له نفسي فرحب بي ترحيب شديد.. هو صحيح ما طبليش مشروب.. لكن نزلنا من الإذاعة واحنا مأنجين بعض.

كتبت انا النص بتاع قال ويقول.. كتبته بخط جميل وخدت إذن الساعة واحدة، وعلى مكتب رامي لقيته مش موجود قلت أسيب له النص ع المكتب لما ييجي بكره يقراه ويصرحه.. فيها حاجة دي؟!

بعدها بشهر باشوف البرامج في مجلة الإذاعة قريت خبر بيقول: انتهى الملحن حلمي أمين من تلحين أغنية كلام الناس للشاعر أحمد فؤاد نجم وسيغنيها المطرب أسامة رءوف!!!!

مين حلمي أمين؟ ومين أسامة رءوف؟ أنا ما سمعتش الاسمين دول قبل كده، ودا طبعاً نتيجة جهلي لكن أعمل إيه مع بليغ؟!

خدت بعضي ورحت للأستاذ رامي.. أول ما شاف وشي قال لي:

– مبروك أنا صرحت لك النص ونازل ع الخريطة الأسبوع ده.

في الأحوال العادية بني آدم مننا لما بيسمع خبر زي ده بتبقى الفرحة مش سايعاه وبعضهم بيعتبرها مناسبة سعيدة جديرة بحفل يقام على شرفها وكل برغوت على قد دمه.. إنما بقى العبد الفقير فهمها غلط لدرجة إن الأستاذ رامي قال لي:

– أنت مش مبسوط ليه؟

شرحت له الموضوع وكان لسه شيطان الألاطة متلبسني فقلت له:

– بصراحة النص دا أنا مفصله لأم كلثوم.

الراجل قال لي وهو مفهوش:

– أم كلثوم حتة واحدة؟!

قلت له:

– مشل أقل.

قال لي:

– طيب..

وبعد فترة صمت قال لي:

– إذا كنت مصمم على رأيك روح لأمين عبد الحميد.. وأنا ح أكلمه.. ما كدبتش خبر.. وعلى مكتب أمين عبد الحميد اللي هو مراقب عام الموسيقى والغناء.. دخلت لقيت شخص ملوش ملامح باينه من كمية القرف اللي حاططها على وشه صعب عليَّ دخلت آخده بالحضن.. وهو قاعد ع المكتب وإذا بيه بيتراجع وهو قاعد مفزوع وقال لي:

– إيه ده؟ أنت دخلت هنا ازاي..؟

قلت له:

– مش الأستاذ أمين عبد الحميد؟!

قال لي بعد ما هدي شوية:

– أيوه أنا.. وأنت مين؟!

قلت له:

– مش الأستاذ رامي كلمك؟

قال لي:

– كلمني في إيه؟ أنت عايز إيه؟

رجعت شرحت الموضوع تاني.. قال لي:

– يعني مش عاجبك حلمي أمين..

قلت له:

– الراجل أنا ما شفتوش والمسألة مش كده خالص..

قال لي:

- يعني نجيب لك عبد الوهاب..

قلت له:

- لأ.. أنا عايز أم كلثوم..

ضرب جرس من نوع معين دخلوا ثلاثة فراشين شالوني هيلا بيلا وع السلم قلت لهم:

- بس نزلوني هنا أنا عارف السكة..

وروح يا زمان تعالى يا زمان جمال الموجي الأخ الأصغر لسعد الموجي كان أيامها طالب بكلية الفنون الجميلة بالزمالك، وكان صديق لفنان الكاريكاتير ناجي كامل، وفي يوم جاني جمال وقال لي:

- أنت مزعل حلمي أمين ليه..؟

وحكى لي حكاية طويلة عريضة فهمت منها أن حلمي أمين راح الإذاعة فقال له أمين عبد الحميد إن فيه ولد مؤلف أغاني ناشئ بيقول عليك إنك مش ملحن، وإن حلمي زعلان جداً، وكان بيحكي الحكاية لصديقه ناجي كامل، وبالصدفة كان جمال عند ناجي وسمع الحكاية فقال لهم أنا أعرف هذا الشخص، وجه بلغني فطلبت منه تدبير لقاء عاجل مع حلمي أمين لتوضيح الأمر..

الفاجومي (17)

عــشت وسـط
العدوية والواحية
والنمــارســة

أسانسير روز اليوسف ولا كل الأناسير! حاجة كده تفكرك برواد الفضا لما بيسبحوا بالسرعة الإملائية.. يعني لا هو مستعجل على فوق ولا ملهوف على تحت..

شخص محايد.. ما تعرفش إن كان ماشي بالطول ولا بالعرض لكن وأنت جواه يديك إحساس بالثبات وكأنك ممتطي صهوة جمل سوداني ماشي في الصحرا على أقل من أقل من مهله لأنه عارف ومتأكد إن نهاية مشواره يعني نهاية حياته.

وأنا جوا الأسانسير كنت باهيأ نفسي لمقابلة الملحن حلمي أمين عشان أوضح له المسألة واكشف له الدسيسية الخسيسة اللي رماها بيني وبينه الأستاذ مراقب عام الموسيقى والغناء اللي عرفت بعد كده إنه ملحن فاشل ودي كانت عقدته من أى فنان ناجح وعرفت كمان قدراته الإبداعية في إذلال وإهانة الفنانين الموهوبين.. الشيء اللي ما عرفتوش إلى وقتنا هذا هو الشخص الشرير اللي وضع هذا المريض الموتور في هذا الموقع الوظيفي الخطير.. مراقب عام الموسيقى والغناء!!

ما علينا.. طلعنا جمال الموجي وأنا الدور الأخير.. مجلة صباح الخير نقابل حلمي عند صديقه الرسام ناجي كامل حسب اتفاق جمال مع ناجي واستقبلنا ناجي بترحاب بسيط وقال:

– اتفضلوا.. زمان حلمي جاي.

بهرني الجو المجنون في أوضة الرسامين.. ريحة الحبر النفاذة.. الشخبطات والرسومات الفوضوية بالحبر الشيني على الحيطان.. كل شيء في الأوضة كان في غاية الهرجلة الكراسي مكسرة والمكاتب وسخة وعليها حاجات غريبة، فوط كان لونها أصفر زي بتاعة التكسجية وكبايات بعضها فيه بقايا شاي وبعضها فيه بقايا قهوة وبعضها فيه ميّه سوداء مغروز فيها فُرش رسم وكلها مليانة أعقاب سجاير ومشاط كبريت خلصانة والأرض مليانة ورق ملغمط حبر بعضه مفرود وبعضه مكور.. آخر لخبطة.. لكن لخبطة تسحر حاجة كده تفكرك بأشعار صلاح جاهين المجنونة أو رسومات حجازي قليلة الأدب.

ما أعرفش أنا فضلت قد إيه سارح في السحر ده لغاية ما سمعت ناجي بيقوللي:

– معانا هنا شاعر اسمه فؤاد قاعود.. تعرفه؟

قلت له:

– أنا قريت له كتير في صباح الخير وباحبه ويا ريت أقدر أشوفه.

قال لي:

– قريت له إيه؟

قلت له:

قريت له:

المجتمع زي الرصيف

وسخ

وعايز يتكنس

فيه ناس

بتعرق ع الرغيف

وناس

بتعرق م التنس

قال لي:

– إنت شيوعي؟

قلت له:

– لأ.. أنا مسلم وموحد بالله.

وقعدت اتابع ناجي وهو بيرسم ولاحظت إنه بيمضي ناجي كده ناجي.

قلت له:

– ليه الألف مش طالع عِدِل؟

قال لي:

– أصل أنا واد مش دوغري.. أنا لئيم.

وضحكنا وخدنا الكلام ونسيت موعد حلمي وبعد فترة انتظار طويلة كان ناجي خلص شغله وحلمي ماجاش.

- زي عوايده.

قالها لي ناجي وقمنا على وعد باللقاء والحقيقة أن بساطة الفنان ناجي كامل شجعتني على التفكير في معاودة الزيارة ودي كانت رغبة ملحة جوايا للتعرف على هذا العالم العجيب.. عالم الصحافة وبالتحديد صحافة مدرسة روز اليوسف.

* * *

بدأت اندمج في الحياة العامة في حوش قدم وأتعرف على الخريطة الاجتماعية في هذا المكان العجيب.. سكان الحوش ماهماش من أصل واحد.. رغم انصهارهم في نسيج واحد.. فمثلاً فيه العدوية النازحين من بني عدي في الصعيد ودول بيشتغلوا في صناعة السجاد والعيش والجزارة وفيه الواحية ودول أمهر ناس في تزويد قاهرة المعز بحبوب منع الفهم ودا تعبيرهم عن الفول والعياذ بالله وخطورة الواحية النازحين من الواحات الداخلة والخارجة إنهم يبلعوك الحبوب الملعونة دي وأنت في غاية الانشكاح والانبساط من طعامة الفول وحلاوته وفيه النمارسة اللي هما من أبو النمرس بلديات الشيخ إمام ودول تجار الصيني أيام العز والألامونيا والميلامين وجميع مشتقات النفط من العصر الحديث، وعن النمارسة حدث ولا حرج.. تجار أشطر من

اليهود وأحرص من الدمايطة وفيه تعبير ساير بيستعمل في وصف حركات النص كم بين الأصدقاء اللي هو:

- أنت حتتنمرس عليَّ؟!

عموماً ما تستعجلوش على رزقكم وحتشوفوا نمرسة لما تشبعوا.. مثلاً..

* * *

صباح يوم جمعة.. كنا مأشفرين مما جميعه لا فلوس ولا أكل ولا دخان ولا صنف ولا دياولو.

قلت له:

- وبعدين يا إمام؟

قال لي:

- ما تقلقش.. قوم بينا نشكك حجرين معسل من عبد الرءوف نملا بيهم فراغ المعدة وبعدين يخلق في قضاة رحمة.

بالمناسبة عبد الرءوف ده كان صنايعي في قهوة العدوية وكان ما بيشككش حاجتين تخلق غير المعسل.. ليه بقى؟ المعلم أساساً كان مانع الشكك من أصله والقرار ده كان ماشي على كافة شيء يطلع من تحت إيد النصبجي يعني الشاي والقهوة والجنزبيل والينسون والسحلب إلى آخر عيلة السوايل.. لكن عبد الرءوف العجيب كان مدكن في جيبه تلات أربع ورقات دخان بيبعهم لحسابه الخاص لزبون الشكك.

قول قاعدين أنا والشيخ إمام نشد في البوري لحين ميسرة وإذ بحتة أفندي رهيب الأناقة والشياكة واقف قدامنا ومركز عينه على إمام ومتجاهل العبد الفقير تماماً قلت:

– يمكن صديق قديم لإمام وبيحاول يتذكر.. وعموماً تبقى فُرجت ركزت عنيه عليه إنه يعبرني؟ أبداً.. برضه فضل متجاهلني بطريقة دنيئة استفزتني ولسه ح أسأله راح داخل ع الشيخ إمام وسأله:

– إنت الشيخ محمد؟

غمزت إمام في رجله وقلت له:

– أيوه.. هو دا الشيخ محمد.

برضه ابن الجزمة تجاهلني وقال للشيخ إمام:

– أنا عايزك توصلني الإذاعة.

غمزت إمام في رجله تاني وقلت له:

– وماله.. بس أنت بتعرف تغني؟

بص لي باشمئناط وقالي بألاطه شديدة:

– أمال يعني ح أروح الإذاعة العب سيجة؟!

قلت له:

– بس لازم الشيخ محمد يسمعك الأول.

قال لي:

– أهلاً بيك وبالشيخ محمد وبعبد الوهاب نفسه.. أنا مستعد.

قلت له:

– إنت فاضي إمتى؟

قال لي:

– فوراً.

قلت له:

– طب اتفضل عندنا فوق بعد ساعة من دلوقتي.

قال لي:

– وليه بعد ساعة؟!

قلت له:

– أصل إحنا رايحين ناكل كيلو كباب من عند أبو هاشم.

قال لي:

– شاورولي ع البيت واسبقوني انتوا وأنا ح اجيب الكباب والحقكو.

قلت له:

– أصل إحنا بعد ما ناكل حنخش الباطنية نجيب حاجة.

قال لي:

– موجود معايا الصنف.. ومزاج عالي قوي.

سحبت إمام وطلعنا على فوق واحنا ع السلم قال لي وهو بيضحك:

- مش قلت له ح يخلق في قضاة رحمة.. أهو خلق في قضاة لحمة.

حبتين والباب خبط قمت فتحت لقيت الزبون داخل بكيلو الكباب والسلطات والعيش فرش الأكل قدامنا وقال:

- اتفضلوا انتو بالهنا والشفا وأنا ح أعمل لكو الشاي وأولع الفحم وأروش البطرمان..

وفي أقل من خمس دقايق كان كيلو الكباب بالعيش بالسلطات اختفى من الوجود.. وحبسنا بالشاي.. وبدأت الاصطباحة النميسة وفي نوبة الصهللة ضحك إمام وقال:

- إنما إحنا ما اتشرفناش بالاسم الكريم.

قال له:

- خدامك سلامة يا شيخ محمد.

قال له:

- تعالى جنبي هنا بقى عشان تدوقني حلاوتك.

الرجل حصل له رعب وبص لي.

قلت له:

- عمك الشيخ محمد عايز يسمع صوتك.. غني.

راح فاكك الكرافتة الحمراء وزراير القميص الدهب وترس رجليه في الأرض وبـدأ يطلـع أصـوات غريبـة مـن بقـه أشـبه بأصـوات الفيـران المولودين لسه.. إمام انتفض وقال:

- إيه دا يابو النجوم.. فيه إيه؟

قلت له:

- مافيش حاجة.. لا الأستاذ سلامة ح يغني.

قال لي:

- لأ.. فيه حاجة بتزيق زي العرسة.

غمزته بشدة وقلت للأستاذ:

- اتفضل يا أستاذ.

قال لي:

- هو الشيخ محمد متضايق من حاجة؟

قلت له:

- لا أبداً.. اتفضل غني.

وإذا بالأستاذ وبنفس الصوت بيغني:

يا ديني يا امه

الحليوة برّه

هو القمر في السما

ويش نزله ع الحيط

كبداي

ولداي

عاد يابوي

قال له إمام:

- بس بس بس.. خلاص.

سكت وبص لي قلت له:

- حتسمع النتيجة دلوقتي.

وإذا بالشيخ إمام يقول:

- النتيجة صفر.

الجدع وشه راح لون وجه لون وقال لي:

- إيه؟ مافيش أمل؟

قلت له:

- الأمل موجود طبعاً.. بس أنت محتاج تدريب جامد.

قال لي:

- أنا مستعد للتدريب.

قال له إمام:

- باقولك إيه اسمعني أنا.. أنت تشوف لك شغلانة تعملها بعيد عن المغني.. روح العب كرة.. العب طاولة.. مثِّل.. لكن اوعى تغني..

الفاجومي (18)

يـــوم قـررنــا
مقــاطعة الإذاعــة

أنا من خلال معرفتي بالشيخ إمام اكتشفت أنه مجامل جداً وأحياناً لدرجة النفاق.. مش فاهم هو ليه تربس مع الراجل ده بالذات.

الراجل قال له:

- يعني ما أغنيش خالص؟

قال له:

- بتاتاً.

قلت له في محاولة لجبران الخاطر:

- مش قوي كده يا شيخ محمد أي واحد فينا ممكن يغني في الحمام.

قال لي:

- ولا في الحمام.

ضحكت وقلت له:

- بلاش في الحمام يغني لنفسه.

قال لي:

- ولا لنفسه.

قلت له:

- دا اضطهاد يا شيخ محمد.. أنت كده تبقى بتحرمه من حق إنساني.

قال لي:

- يابو النجوم أنا ما حرمتوش دا ربنا هو اللي حرمه.

الراجل قال له بود شديد:

- ماهو البركة فيك يا عم الشيخ محمد.

قال له:

- لا بركة ولا حركة.

قال له:

- دنا ح أغرقك كباب وحشيش بس أنت وافق يا شيخ محمد.

قال له:

- ما تتعبش نفسك.. ثم أنا ما اسميش الشيخ محمد أنا اسمي إمام محمد عيسى.. وروح بقى دور ع الشيخ محمد.

الراجل قام بهدوء ربط الكرافتة وزراير القميص وخرج وأول ما وصل لحوش البيت زعق بعلو حسه:

- ياللا يا ولاد "الوسخة" يا جعانين.. والله ما أنا مسامحكو في الكباب اللي طفحتوه.. يا شيخ محمد يا أعمى يابن "الوسخة"..

وطلع يجري على برّه.

* * *

بدأ حسن الموجي يندمج في الجوق الغنائي المكون من الشيخ إمام ومحمد علي والعبد الفقير والحقيقة إنه كان إضافة مهمة لأنه زي ما حكيت عازف إيقاع موهوب وصاحب صوت أجش لكن حساس

وقـادر علـى أداء النغمـات ولـه حضـور طـاغي.. صـوت ينتمـي إلـى مدرسـة الفنـان العظـيم الخالـد الشـيخ زكريـا أحمـد.. لكـن الحلـو مـا بيكملش.. ليه؟

برزت مشكلة فنية أثارها الشيخ إمام في قعدة.. ألا وهي زميلي في الكـورس الأسـتاذ محمـد علـي.. أنـا سـمعت نـاس كتيـر بيغلطـوا فـي الفصحى لكن زميلي الكورال العزيز محمد علي كان الوحيد من نوعه اللـي بيغلط فـي العاميـة.. يعنـي مـثلاً بينطـق الخـاه.. غين يعنـي كلمـة الشـخبطة ينطقها الشغبطة ودا مش لأنـه ألدغ فـي الخـاه لا سمح الله، لأنـه بينطـق كلمـة الضـغط الضـخط.. مش بس كده.. دا كمـان بيركـب الجملة غلط.. يعني أنت لو غلطت في اسم زكريا محيي الدين حتقول إيه؟ أكيد حتقول أى حاجة غير اللي بيقولها محمد علي.. لأنـه بيقولها محيـى زكريـا الـدين، ويقـول عـن الأخضـر الإبراهيمـي إبـريم لاغضـر وهكذا مـا تعدش، وأخونـا الشـيخ إمـام تلميـذ نجيـب فـي مدرسـة الشـيخ درويش الحريري اللي مافيهاش أي تسامح أو مهادنة مع العبث بمخارج الحروف.. والحقيقة أن المشكلة دي سببت لي متاعب تلات شهور في محاولات مستميتة لتصليح نطق زميلي في الكورس انتهت كلها بالفشل واليأس ثم تـلات شـهور فـي جدل مضـني مـع الشـيخ إمـام انتهـت علـى مضض بوجود محمد علي في الكورس الناطق وأمره الله.

لما حكيت لأفراد الجوق عن تجربتي مع الإذاعة والسيد / المراقب العام إياه اتبحبح الشيخ إمام وحكى لنا تجربة مماثلة.

وهو كان رايح يمتحن ملحن في الإذاعة!! (أنا حاطط علامتين التعجب دول لأني لغاية دلوقتي مش فاهم يعني إيه يمتحن ملحن؟).. ما علينا.. راح عمنا الشيخ على اللجنة ضمن خمسة وعشرين ملحن جايين يمتحنوا برضه!

رئيس لجنة الامتحان كان اسمه حافظ عبد الوهاب.. وحافظ عبد الوهاب كان مذيع يعني كان خريج آداب أو دار علوم قسم لغة عربية يعني مالوش أي علاقة بالمزيكة غير إنه بعد كده احتضن المطرب عبد الحليم شبانة وسماه عبد الحليم حافظ.

قاعد الشيخ إمام في مقاعد الانتظار وسمع الحوار بين الأستاذ حافظ عبد الوهاب والملحن اللي بيمتحنوه ويا ريته ما سمع.. لأن الحماقة لبست جتته وانظرط وقام على حيله يصحح السؤال للبيه رئيس اللجنة، غمزه اللي جنبه أو زغده وقال له:

- اسكت.. دا رئيس اللجنة.

قال له:

- وكمان رئيس اللجنة.. يبقى عليه العوض في المزيكة.

طبعاً كل اللي قاعدين في اللجنة فوجئوا بحماقة الشيخ إمام خصوصاً السيد / رئيس اللجنة اللي فاجأ الجميع بسؤاله للشيخ الأحمق:

- إنت بتشرب حشيش؟

قال له:

- أيوه.

قال له:

- طب لما تبطل حشيش ابقى تعالى قدم في الإذاعة.

قال له:

- لا ح أبطل حشيش ولا ح أقدم في الإذاعة وسلامو عليكو.

.. ومن يومها ما هوبش ناحية الإذاعة.

سألته:

- هل ده قرار؟

قال لي:

- بلا عودة.

قلت له:

- وأنا كمان خدت القرار ده وبلا عودة.

واعتبرنا ده ميثاق غير مكتوب بعدم التعامل مع الإذاعة.. وعن الأجر والعائد المادي قررنا إننا لا نطلب ولا نرفض وبكده نحترم أنفسنا ونكرم فننا.

* * *

أنا مش فاكر.. كان يوم إيه؟ ولا كان يوم كام؟

كل اللي فاكره إنه كان يوم.. لون فستان ليلة الحنة.. بمبي بمبي بمبي.. أيوه بمبي.. يومها قابلت شاعر كبير.. ومشهور.. وشريف.. وبيقول:

لو غيتك شهرتك
اعمل لها طبال
صوت الكفوف ع الدفوف
يدوش
لكن.. قتال
والشهرة مهرة
حويطه
تقلب المختال
تفزح وتجمع وترمح
باللي راكبها
يا تجيبه للديل

يا ييجي فوق مناكبها
والحر لجل الحقيقة
يركب الأهوال

* * *

الشاعر أحمد فؤاد قاعود.. واحد من أنجب وأشعر ولاد بيرم العظيم إسكندراني زي أبوه. والإسكندراني في مزامير عمنا بيرم:

إذا اتحذلق
جلنف
لكن له مبدأ
يغواه لحد ما يتزحلق
في نقره
إبليس يخشاها

قابلته على شوق في أوضة رسامين صباح الخير.. كنت قاعد عند الصديق الرسام ناجي كامل ودخل علينا.. شاب ربعة.. صحته اللهم لا حسد عنيه الملونين بتشع منهم نظرة نفاذة.. نظرة جريئة تقتحمك وكأن صاحبها بيقولك أنا أهه.

قال لي ناجي كامل:

– وآدي يا سيدي الراجل اللي أنت متشوق تشوفه.. الشاعر فؤاد قاعود.. فزيت منتور على حيلي وانحدفت عليه وسلمت عليه بحرارة.. وكمل ناجي مهمة التعريف فقال له:

– الشاعر أحمد فؤاد نجم قالب دماغي عايز يشوفك.

خدنا بعض ونزلنا بدون وحتى ما أستأذن من ناجي.. قعدنا على قهوة جنب روز اليوسف.. قال لي:

– سمعني.

سمعته عصفور وصياد وكلب الست ويا عم إدريس.. أبدى إعجابه باللي سمعه. انتشجعت.. حكيت له حكاية الفقرات اللي سمعتها في السجن من أشعار فؤاد حداد وإزاي أنا حطيت اللي افتكرته منها في ديوان "صور من الحياة والسجن" وشرحت له تصوري، قال لي:

– أنت راجل طيب.. لكن ماحدش حيفهم اللي أنت بتقوله ده.. وحيعتبروها سرقة أدبية..

قلت له:

– معاك حق.. ودا حصل بالفعل.

قال لي:

– إزاي؟

قلت له:

- من أسبوعين قابلت صلاح جاهين في أسانسير التليفزيون وقدمت له نسخة من دیواني وعرفته بنفسي.. قال لي:

- إنت اللي سارق شعر فؤاد حداد؟

قلت له:

- أنا مش سارق شعر فؤاد حداد، دا أنا كان قصدي.. ما سابنيش أكمل كلامي وقال بلهجة كلها تعالي وأستذه لدرجة أوجعتني:

- خلاص خلاص.. ما تبقاش تعمل كده تاني.

وسابني ومش.. وعشان كده يا أستاذ فؤاد أنا باكتب قصيدة أشتم فيها الشيوعيين ولاد الكلب الكفرة!

ضحك فؤاد قاعود وقال لي:

- لأ.. ما تشتمش الشيوعيين.. وصلاح جاهين مش شيوعي.. والشيوعيين مش ولاد كلب ولا كفرة.

وبدأ هو يسمعني بعض أشعاره.. لقيت لها طعم تاني.. عشقتها لأنها لمست قلبي بدون استئذان.

وافترقنا على وعد باللقاء في روز اليوسف بعد ما كلمته عن تجربتنا الشيخ إمام وأنا ورجيته أنه يشرفنا بالحضور لحوش آدم عشان يسمع ويحكم بنفسه وأهو إن قال كلمتين اتعلم لي منهم كلمة وكلمة

على كلمة يبقوا كلمتين واللي عايز يتعلم يسمع ما يتكلم وعلى رأي المثل يموت المعلم ولا يتعلم.. وصلي ع اللي خطر ع الرمل.. لم علم.

* * *

تاني يوم دخلت لك حوش آدم.. تقول عنتر بن زُبيبه؟ جايز تقول أبو زيد الهلالي سلامه؟ برضه جايز تقول حمزة البهلوان، تقول سيف اليزل؟ كله جايز.. ليه بقى؟ أنا من يوم ما سكنت في حوش آدم وأنا صبّاحي خارج رايح المنظمة وراجع الضهر إيد ورا والتانية ورا برضه النهاردة بقى راجع لك يا حوش آدم فارس على راس كتيبة من المثقفين أذكر منهم الشاعر فؤاد قاعود والروائي الناقد علاء الديب وفنان الكاريكاتير الكبير محيى اللباد والرسام الصحفي مصطفى رمزي وأخيراً وليس آخراً حجازي الرسام وما أدراك ما حجازي الرسام.

كل دول كانوا جايين بناءً على اقتراح الشاعر فؤاد قاعود وعشان يسمعوا الشيخ إمام في أول زيارة سياحية لهذا الموقع النائي في أحشاء جمهورية القاع على هوامش المدينة الرهيبة، قاهرة الستينيات.

* * *

الفن طاب واستوى وطلب الأكالة.. كل يوم كنا بنستقبل مولود جديد وأحياناً كان المولود بيبقى توم.. اتنين يعني واتحولت أوضة محمد علي إلى ورشة عمل بالنهار والليل يتجمعوا السُمّار يسمعوا ويتناقشوا ويشجعونا على الاستمرار والمزيد من الإبداع وأضاف الشاعر

فؤاد قاعود للجوقة إضافة كمية ونوعية وعملنا تجربة تلحين الشعر الحر وتمخضت التجربة عن مجموعة جميلة من الأغاني اللي كتبها فؤاد – شعر حر – ولحنها إمام.. أحزان القرد – والشجرة بتخضر – وحبيبتي بنت أرض – والبياع.. إلخ.. على الجانب الآخر.. كانت الأغاني اللي كتبتها.. على حسب وداد جلبي وعصفور وصياد.. وأبوك السقا مات.. والحمام الإمري اللي كتبتها أوصف بيها اللي إحنا فيه:

الحمام الإمري صبح
ع البناني
قابل الصبح المنور
بالأغاني
والمعاني الحلوة رنت
في الخميلة النايمة
غنت
والقلوب الصاحية حنت
للأماني

* * *

دبت في المكان روح جبارة واتسعت الدايرة وزاد عدد المريدين والأصدقاء وبدأت أجهزة التسجيل تاخد مكانها في الأوضة وكأنها جزء من الديكور الثابت وبدأنا نتعرف كل يوم على ناس جداد وأصبح

الشاعر والصديق فؤاد قاعود من سكان المنزل رقم اتنين لعطفة حوش آدم بالدرب الأحمر بالقاهرة، كنت فرحان ومتونس.. وكل يوم أتعلم حاجة جديدة وكل ما كنت باتعلم حاجة جديدة كل ما كنت باكتشف جهلي وأضحك على نفسي.. أضحك على أفكاري العبيطة وتصرفاتي الانتهازية – تقول مين كان بيعلمني؟ المفروض يكون شخص شديد الكلام.. أسمع منه وأفهم وأتعلم.. مش كده برضه؟ لكن لأ.. أنا بقى اللي علمني ابقى بني آدم قبل ما أبقى شاعر هو الصامت الأعظم حجازي الرسام.. الراجل ده ما بيتكلمش خالص لا عن نفسه ولا عن غيره.. يعني أنا مثلاً عرفت تاريخ حياة فؤاد قاعود من يوم ما اتولد لغاية ما بقي شاعر كبير.. من خلال كلامه عن نفسه وخصوصاً في الأوقات اللي ما بيكونش حجازي الرسام موجود فيها لكن حجازي دا بقى أدي لي تلاتين سنة أعرفه ومش عارف له أصل من فضل اتولد إزاي؟ وفين؟ وليه؟ عاش فين؟ جه مصر إمتى؟ ما بيقولش وكأنه كائن جاي من كوكب آخر علشان يعمل في فن الكاريكاتير المصري ثورة موازية للي عملها سيد درويش في الموسيقى والمسرح الغنائي، ومع ده يقدم بنفسه نموذج للفنان اللي بيحترم فنه ويحميه من نزوات النفس والطموح للشهرة والمال وأهم شيء عملهولي عمي حجازي إني أسمع غيري.. الشيخ إمام كان متعصب لمدرسة الشيخ درويش الحريري في الموسيقى وده اللي كان بيمثلها شيخ الملحنين زكريا أحمد وفؤاد كان

متعصب لمدرسة بيرم في الشعر وكان رأيه إنه هو اللي بيمثلها – وأنا في أول الأمر انجريت ورا إمام وفؤاد وكنت باستمتع بتسفيه كل الفنانين اللي برَّه الدايره دي لأني كنت بالاقي في ده بعض التعويض إزاء الإحساس بالظلم اللي كان بيتفرسني من الداخل.. ولما عملنا أغنية على حسب وداد جلبي ونالت الإعجاب لقيت فرصتي في الهجوم على الغير وكانت أيامها بتذاع أغنية عبد الحليم على حسب وداد جلبي وذات مرة كان حجازي قاعد في الغورية والراديو بيذيع أغنية عبد الحليم ولقيتها فرصة فقعدت أهاجمها بشكل هستيري وأقلد صوت عبد الحليم بشكل كاريكاتيري وفوجئت بحجازي الصامت بيقول لي بمنتهى الهدوء:

– ليه؟ دا الكلام مكتوب كويس.

أنا كأني بلعت كورة حديد.. خرست خالص وبدأت أحس بالخجل من تصرفاتي وطريقة هجومي على أغنية أنا ما سمعتش هي بتقول إيه؟ مش دي والنبي خيبة بالويبة على رأي أمي.

* * *

ظهرت مجموعة جديدة من الشباب الموالي لفؤاد قاعود.. محمد يونس ومحمد عبد السلام وفاروق متولي وعبد السلام رضوان وخضري.. فؤاد فهمني إن دول مكونين شركة ثورية كهربائية في السويس!

أنـا الأول مـا فهمـتش يعنــي إيــه شـركة كهربـا ثوريــة لكـن ظُـرف الشباب قربنـي منـهم وبمرور الأيام عشقتهم.. وفـي يوم قرر فؤاد السفر الجماعي لإسكندرية وسافرنا ونزلنا في بيت أم فؤاد وهنـاك قابلنـا الأستاذ علـي قـاعود الشـقيق الأكبـر لفـؤاد.. راجـل متبتـل.. مـالوش علاقـة بـأي شيء في الحياة إلا البحر.. بينه وبين البحر علاقة حميمـة الصبح لازم يتقـابلوا ويتكلمـوا مـع بعض سـاعة والمغرب يكرروا نفس اللقـاء ويقولـوا كلام جديد.. ماعدا البحر الأستاذ علي ما بيكلمش حد..

الفاجومي (19)

لمـــاذا أحتـــرم

الحكـــومــــة؟

بذل فؤاد قاعود جهد لإقناع شقيقه الأكبر على سماع الشيخ إمام.. طول القعدة عيني ما نزلتش من على الأستاذ علي، أوقات كانت عينه بتسافر بعيد.. وفجأة ترجع كلها حيوية.

بعد علي ما سمع سابنا وقام، وقام فؤاد.. خرج وراه.. ورجع فؤاد بعد شوية وقال لي:

– سألت علي عن رأيه فقال جملة واحدة: دا شيء محترم..

* * *

إحنا النهاردة زارنا النبي.. يا ألف ألف تلتميت مليون مرحباً ويا عشر ميت مليون هلا.. البيه النيابة بذات نفس شخصيته اتعطف واتلطف وشرف بيتنا الحقير زاير مش قابض!!

أنا ربك والحق لما قدمهولي فؤاد قاعود:

– الأستاذ شريف وكيل نيابة.

الأول إتشائمت وقلبي انقبض.. ما أنت عارف اللي بيني وبين الحكومة.. أنا صحيح باحترمها.. بس دا خوف مش حب.

لكن لما كمل فؤاد:

– الأستاذ شريف المنباوي شاعر زميلنا.

وكيل نيابة وزميلي؟! استني بقى يا حكومة.. والله لأخليكي تقول الحنة الفتل بكام الرطل.. ومين عارف مش يمكن يظهر لي زميل ظابط.. عموماً أنا وأنتي يا حكومة والزمن طويل.. شفتوا بقى فوايد الشعر؟

وبدأت أفرز الزميل الجديد.. شاب حليوة.. شعره مسبسب وسايح زي شجيع السيما ولابس بدلة شياكة وفاكك الكرافتة بألاطة ومبتسم بشدة وسنانه بيضا وبتلمع زي إعلانات كولينوس وبدأ البيه النيابة يسمعنا شعره، عجبتني الثقة والألاطة اللي في طريقة أداؤه وكان بعد كل جملة يقولها يبتسم ابتسامة الشخص اللي عمل مغرز ونجح فيه.

أنا بصراحة حبيت الشخص ده بشدة أكتر من شدة ابتسامته.. حبيت شعره البسيط اللاذع:

يا بلدنا يا عجيبه
فيكي حاجة محيراني
نزرع القمح بصعوبة
يطلع القرع ف ثواني

* * *

(على فكرة.. فيه ناس بينسبوا البيتين دول للشاعر محمود الماحي ودا مش صحيح.. أولاً لأن محمود الماحي ماكانش بيكتب شعر

عامي.. ثانياً أنا سمعت بعض قصايدي منسوبة لمحمود الماحي.. فأرجوك تصحى للعملية).

اندمج شريف المنباوي في المجموعة وأصبح عضو عامل في النادي وبقى ييجي لوحده.. وذات صباح دخل شريف صحاني م النوم.. وبعد ما فطرنا الفول الشديد وعملنا الاصطباحة المتينة طلع من جيبه ورقة وسمعنا منها أغنية كان لسه كاتبها وعلى الفور دخلت المكنة م الناحيادي طلعت م الناحية التانية متلحنة غنوة ظريفة لطيفة أربعة وعشرين قيراط ودخل فؤاد قاعود لقينا قاعدين نغنيها واللي نقوله نعيده.. بصيت على وش فؤاد لقيته مبتسم ابتسامة المفاجأ..

بصيت على شريف لقيته بيوجه لفؤاد ابتسامة شديدة.. وبعد ما انتهينا من الغنا دار بين فؤاد وشريف جدل من النوع الرهيب الشأن كان الخلاف على المطلع اللي بيقول:

يام العيون المصراوية

يام العيون المش عادية

كان رأي فؤاد إن عبارة – المش عادية – ركيكة وكان رأي شريف إنها جديدة وجريئة.. وفي النهاية احتفظ كل واحد بوجهة نظره لكن بعد الواقعة دي بدأت العلاقة بين فؤاد وشريف تتدهور رغم محاولاتي المستميتة في إصلاح ذات البين وكان شريف بيتعمد ييجي في الأوقات اللي فؤاد ما بيكونش موجود فيها ويمشي قبل فؤاد ما ييجي.. مش فاكر

المسألة دي استمرت قد إيه وبدأ شريف يخفف من زياراته وأخيراً انقطع تماماً وفات لي حاجتين الحاجة الأولى كانت الانجرارة المتلتلة عند بياع الصنف ودي مش مهمة لأني سددتها لكن الحاجة التانية هي اللي فضلت كانت قصيدة جميلة كان كاتبها في شخص لا داعي لذكر اسمه لأنه مات في ستين داهيه.. لكن الشخص ده كان بيمثل نوعية من الفنانين مازالت موجودة مع الأسف وتكاد تكون مهيمنة على عقول وأذواق الناس من خلال قنوات الإعلام اللي معششين فيها زي العنكبوت.

محمد محمد محمد صليب

مؤلف أغاني

وشاعر أديب

يجوز راح تقول

إن اسمه غريب

ولكن ح أفهم جنابك قوام

*

محمد محمد

ومسلم قوي

وممكن

يهودي لئيم ملتوي

وممكن صعيدي

ومن ملوي

وممكن منوفي

وممكن مدام

*

وممكن يقول للبصل

يا قمر

ويحلف

بأن البقر ع الشجر

وفارش خدوده

لعالم غجر

وجاهز قفاه

لاحتمال القلام

*

مؤلف أغاني

ولكن بلا

وكاتب وشاعر

ويلعب جلا

وله في الحياة كلها مشكلة

ملخصها كلمة – حتدفع لي كام –

*

وتدفع فيكتب
أدب بالطلب
تعوزه حماسي
تعوزه طرب
تعوزه فكاهي
يقول لك.. وجب
كأنك في مسمط
بتطلب طعام

*

ويعرف يزمر
لكل العهود
ويمسك كمنجه
ويلعب بعود
ولو مصر دي
يحكموها اليهود
حيصبح يهودي
وممكن حاخام

*

وله حاسة سادسة

تشم الميول

وحافظ كويس

أصول الأصول

ويعرف بطاطس

ويعرف يقول

يعيش أي حاجة

ويضرب سلام.

يا ترى فين أراضيك دلوقتي يا شريف؟.. ولسه فاكر القصيدة دي ولا نسيتها؟

* * *

حسن الموجي كان عنده قدرة على اللعب بالألفاظ.. مذهلة.. وذات يوم كنا قاعدين بربطة المعلم وحصلت دردشة في الشعر وقال وجيه القاباني:

– أنا ملاحظ إن أغراض الشعر اللي عند فؤاد قاعود أكثر تنوعاً منها عند نجم وده في ظني راجع لثقافة فؤاد وعشان كده يابو حميد لازم تقرا.

.. وكعادة سعد الموجي أسرع لنجدتي فقال:

– لا يابو حنان.. إسمح لي أختلف معاك.. أنا شايف إن ثقافة فؤاد هي ثقافة المؤسسة وأنا باعترف إنه حصل منها كتير لكن بنفس القدر نجم حصل من الثقافة الشعبية.. وعشان كده الطعم مختلف.

وحسم حسن الموجي المناقشة بلعبة من ألعابه الظريفة.. خد أول حرف من أسمائنا فؤاد وأنا وركبها فطلعت كده.. أحمد فؤاد قاعود (أُفُق) وأحمد فؤاد نجم (أَفَنَّ) وضحكنا وانتهت الأزمة!!

* * *

فوجئت ذات يوم بفؤاد بيقول لي:

– ممكن تستنى أنت شوية بقى؟

ما فهمتش.. قلت له:

– إزاي يعني؟

قال لي:

– تبطل كتابة شوية لإمام عشان يلحن الشعر.. يقصد شعره هو.

قلت له:

– قوي قوي..

وفعلاً.. توقفت عن الكتابة.. لكن قلبي ما قدرتش أوقفه عن الفرح باللي بيحصل. كل يوم مولود جديد.. وكل يوم نغمة جديدة وكل يوم فرح جديد وأنا بنفس الحماس باغني وأضحك وأفرح وأطير مع السرب السعيد.

وذات يوم كنا قاعدين بنلحن كلام جديد لفؤاد.. الشيخ إمام وأنا وفؤاد قاعود وأعضاء شركة مصر للكهربا الثورية وكالعادة أبديت ملاحظة أو اقترحت شيء على الشيخ إمام مش فاكر.. ففوجئت بفؤاد بيقول لي بمنتهى الغلظة:

- اسكت أنت.

بصيت على وش إمام ما لمحتش أي تعبير.. وقررت السكوت.. حوالي سنة كاملة عايشين مع بعض ناكل ونشرب ونتكيف وننام ونصحى لكن ساعة الغنا أقعد معاهم برضه لكن بُقى ما ينفتحش ودي كانت أكبر عملية تعذيب اتعرضت لها في حياتي لأني ضعيف جداً أمام النغمة والكلمة والنكتة.

بعد كده سافروا إسكندرية من غيري وقعدوا أسبوع لحنوا فيه شوية حاجات وبعد رجوعهم بيوم رجع فؤاد من روز اليوسف ومعاه شخص أفندي قوي أكتر من البيه النيابة ذات نفسه وكانوا جايبين معاهم ريكوردر كبير – جروندنج – من أبو شرايط طاره زي بتاع أحمد الموجي وقال فؤاد للشيخ إمام:

- يا مولانا أنا جايب لك أخطر وأهم ناقد موسيقى في البلد الأستاذ سليمان جميل الناقد الفني بجريدة الأهرام.

واتنتر الشيخ إمام على حيله وقال:

- أهلاً أهلاً.. وهل يخفى القمر.

وشغلوا التسجيل فبدأوا بالحاجات اللي اتلحنت في إسكندرية وفوجئت بأن الشيخ إمام واخد لحن قصيدتي – عصفور وصياد – ومركب عليه كلام لفؤاد قاعود.. حسيت بسكينة بتحش في قلبي بصيت على فؤاد قاعود لقيته باصص على سليمان جميل بصيت على سليمان لقيته باصص على الشيخ إمام.. انسحبت جوًّا نفسي وواصلت السكوت.

بعد ما انتهت جلسة الاستماع قال سليمان جميل كلام كتير كل اللي فاكره منه:

– دا فن حقيقي والسكوت عليه جريمة.. ولازم ياخد فرصته ولازم الناس تسمعه..

وكلام من هذا القبيل.. وقال الشيخ إمام كلام كتير برضه كان أهمه إن:

– أمة محمد بخير طالما فيها أمثال أستاذنا الجليل سليمان جميل راعي الفنون.

وتعهد الشيخ إمام بمواصلة الليل بالنهار في الإبداع وترك مهمة النشر للسادة الأجلاء رعاة الفنون من أمثال سليمان جميل وخلافه.

بعدما نزلوا وانفردت بالشيخ إمام سألته:

– إحنا يا إمام مش اتفقنا مالناش دعوة بالإذاعة والتليفزيون؟

ضحك وقال لي:

– أنتوا مين؟

قلت له:

- أنا وأنت.

قال لي:

- خليك في حالك.. خليك في حالك.

وكان لازم أواصل السكوت.. فسكت.

يوم رجعت الظهر من المنظمة لقيت إمام وفؤاد ومحمد علي قاعدين زي اللي مات له ميت.. إمام منعكش دماغه وفؤاد بينفخ من مناخيره ومحمد علي ما بيطلعش نفس.. إيه العبارة؟ الجماعة راحوا للأستاذ راعي الفنون.. راحوا له البيت حسب الموعد المحدد.. لقيوا إيه بقى؟

محمد علي يقول لك:

- دا واد أفندي آخر صياعة.. لكن مسيره يقع في إدينا.. أدام مش عاوز يشوف خلقتنا.. بيواعدنا ليه؟ لأ وإيه؟ حاطط لنا القفل والرزة ع الباب.. أما دي عجيبة والله.. أنا م الأول ما كنتش مستريح له.

وقال الشيخ إمام:

- ما أنا اديتهاله في وشه.. قلت له – ولتعرفنهم في لحن القول...

(ملحوظة) عليَّ الطلاق بالتلاتة ما حصل.

القصد.. نزل فؤاد وغاب يومين ورجع تاني وفي يوم رجوعه رجعت من المنظمة الظهر دخلت الأوضة الصغيرة اللي بانام فيها لقيت الكليم مفروش في الأرض وفوقه طبقة من الخرا.. كمية كبيرة جداً ما أعرفش جابوها منين وعامل ريحة بشعة رجعت بظهري ع الأوضة الكبيرة لقيت الشيخ إمام ومحمد على قاعدين.. سألت محمد:

– إيه يا محمد اللي على فرشتي ده؟

قال لي:

– خرا.

قلت له:

– مين اللي حطه؟

قال لي:

– أنا.

قلت له:

– ليه؟

قال لي:

– عشان تفارقنا.

قلت له:

– وما قلتليش ليه؟

قال لي:

– أديني باقول لك.

قلت له:

– طيب أنا ح اخلص الشهر اللي ليّ وأمشي.

قال لي:

– لأ.. تمشي دلوقتي.

قلت له:

– أروح فين؟

قال لي:

– تروح في ستين داهية.

وراح قايم مدور الضرب فيَّ فأنا بادلته الضرب وفوجئت بجارنا الفوقاني نازل وماسك رقبة قزازة وعايز يضربني بيها.

حسيت إن المسألة مترتبة فقلت لمحمد:

– خلاص.. أنا ماشي.

ومشيت..

* * *

الفاجومي (20)

الكورة فتــحت لي
بــاب التليفـزيون

زي ما خرج أبونا آدم من جنة رضوان، خرج حفيده الفاجومي، من جنة حوش آدم.

أنا عملت إيه؟.. إيه اللي كلته عشان أشرب عليه ميَه؟

قالولي: اسكت.. سكت.. خليك في حالك.. خليتني في حالي.

- طب إيه النظرية؟..

برضه مافيش أي نظرية..

- طب وبعدين.. كده مخي حيضرب..

- أقولك يا واد.. ما تلجأ للرومانسية..

- إزاي يعني؟

- خليك رومانسي يا حمار.. اعتبر إن وجودك في حوش آدم عقبة في سبيل المشروع ورغم إني ما عرفتش إيه المشروع إلا إني خليتني رومانسي.

إنجازين مهمين في حياتي سمح لي الوقت بإتمامهم الإنجاز الأول كان المدخل إليه سؤال حجازي ليّ:

- إنت قريت بيرم؟

قلت له بمنتهى البجاحة:

- ما عجبنيش.

بص لي وضحك وبعدين قال لي:

– أنت ابن شرموطة كذاب.

فانفجرت بالضحك.

قال لي:

– ع العموم أنا عندي أعماله الكاملة ح اديها لك تقراها..

وضحك وقال لي:

– تاني.

وقريت بيرم يا محترم ومن يوم ما قريته واللي جالي جالي.. الإنجاز التاني كان قراية مجموعة كبيرة من المسرحيات العالمية جابها لي حجازي وقال لي وهو بيديهالي:

– إقر النص على طول.. ولو لقيت نفسك بعد قراية النص قادر تقرا المقدمة ابقى إقراها.

وح أقول إيه ولا إيه الراجل ده علمني كتير على شرط عمره ما حسسني إنه بيعلمني أنا فاكر وأنا باقرا له قصيدة البلى بم بم وما كنتش باكرر جملة والبلى بم بم والبلى باه قال لك إيه قال لك آه.. فقال لي:

– دنا كنت باحسب إنك حتكرر المقطع ده.

جربت اللي قال لي عليه لقيت القصيدة بقى لها طعم تاني.

* * *

الصبح كنت باصطبح عند محمود الباشا وراجع مونون قالت لي زميلة في المنظمة:

- أنت كنت فين يا نجم؟ دا حجازي طلبك بالتليفون وبيقولك لازم تعدي عليه في المجلة بعد الساعة اتنين..

* * *

- خلاص بقى يا فؤاد.. سماح يا أهل السماح ويا بخت من قدر وعفي.. وتكفي العايب عيبته.

كان صوت أمي عمال يرن جوايا زي جرس الحريقة وأنا قاعد ساكت قدام حجازي الرسام بعد ما قال لي بمنتهى الهدوء والبساطة:

- دا الشيخ إمام عيان قوي وحالته وحشة وطلبه الوحيد إنه يشوفك ضروري.

قلبي اتخلع.. خدت بعضي وقمت نزلت من غير استئذان.. كانت تذكرة الأوتوبيس بقرش صاغ - أيام بقى الله لا عاد يعودها - وكان كل اللي احتكم عليه شلن ورق! ما حبيتش أجرحه فقلت أتمشاها أفرنجي للغورية في عز عز النقارية.. ألف سلامة ليك وألف ألف بعد الشر عليك.. دانت مهما كان صاحبي وزميلي وراوي أشعاري للناس ومخامسني العيش والملح سنين.. دي عشرة ع الغالي والعشرة ما تهونشي إلاَّ على ولاد الحرام.. هي دي الحقيقة. وأى كلام غير كده باطل وقبض الريح.

ثم مين أدراني إنك كنت موافق ع اللي اتعمل معايا.. أكيد أنت بالذات ماكنتش معاهم بس ماكنتش قادر تعمل حاجة.. سلامتك يا صاحبي من كل شين – وزي ما بدينا سوا لازم نكمل سوا. وصدقني ما دمنا سوا يبقى مش حننتهي إلاَّ سوا.. أنا جاي لك يا إمام يا صاحبي.. جاي بحضن مفتوح وضمير صافي وقلب أخضر زي قطع الورد.. وعفا الله عما سلف.

قال الراوي يا سادة يا كرام.. صلوا على خير الأنام.. ولما وصل الفاجومي إلى مضارب حوش آدم قفز قلبه في جنبيه وطفرت الدموع من عينيه.

– والله زمان يا حوش آدم.. وحشتني يابن الإيه.. لكن.. اللهم لا شماتة.. فين المشروع اللي طردوني عشانه؟ راح المشروع عشر ميت حتة واتحول الموقع إلى أطلال تشبه ديار بني عبس بعد ما اتعرضت لغارة جبارة في غيبة فارس الفرسان وشاعر الحرب والطعان عنتر ابن زبيبة الكريم حامي الحمي والحريم وهازم الغريم اللئيم.. أما عناصر المشروع فقد ولوا الأدبار ولاذوا بالفرار وتمزقوا إرباً وضاعوا في الفيافي والقفار.. محمد علي رمز الألاطة واقف على باب سيدي يحي بيبيع بطاطه! وعناصر شبكة الكهربا الثورية تلاشوا في الحال وتقطعت منهم الأوصال بعدما استولى أحدهم على الرصيد المحترم وبعزقه على

نسوان شارع الهرم وبعدها سافر السويس انتحر هناك! وفؤاد قاعود انقطعت رجله وسيرته من الحتة.. وسبحان الحي الذي لا يموت.

طلعت الموقع اللي هو البيت لقيت إمام وحيد مع المرض وقزايز الدوا وشرايط البرشام نايم على لحكم الدكة وهو جلد على عضم.. أول ما شم ريحتي فز منتور على حيله وقال لي:

- يا حبيبي.. إنت جيت؟

خدته في حضني وقلت له:

- ما تتحركش.. خليك نايم مستريح.

قال لي:

- تعبت م الراحة يابو النجوم.

قلت له:

- أجر وعافية إن شاء الله.

قال لي:

- ما تسيبنيش تاني.. أنا اتبهدلت في غيابك.

قلت له:

- هو أنا برضه اللي سبتك؟

قال لي:

- ما تكملش.. أنا ح أقولك على كل حاجة.. تحب تسمع منين؟

قلت له:

- أحب أسمع صوتك وأنت بتغني.. وحشتني الحكاية دي قوي.

قال لي:

- طب ناولني العود.

وفوجئت بيه بعد ما دوزن العود بيغني بأصفى صوت وأرق صوت سمعته في حياتي:

تخاصمني كتير
تصالحني كتير
كل دا يا حبيبي
مالوش تأثير
تهجرني سنين
توصلني سنين
ما تغيرنيش
دانا حبي كبير
وإن كان أمل العشاق القرب
أنا أملي في حبك هو الحب
وإن غبت سنة أنا برضه أنا
لا أقدر أنساك
ولا ليَّ غنا
ولا أتوب عن حبك أنا

*   *   *

عرفت من الشيخ إمام أن السامر انفض وكل منهو راح لحاله بعد عملية طردي المهينة من حوش آدم.. مافيش غير حجازي هو اللي ماقطعش الود وكان دايماً شايف طلبات إمام ولما مرض جاب له الدكتور والدوا وكان بيجيب اللحمة والفراخ لمحمد عشان يغذي الشيخ إمام.. ولما سألته عن سعد الموجي قال:

– سعد زعلان مني يابو النجوم.. أنا شميت الزعل في صوته وهو بيكلمني.

قلت له:

– ما تاخدش في بالك.. بكره تشم الفرحة في صوته بإذن الله..

وقد كان.. بمجرد رجوعي لحوش آدم إتلم الشمل والبيت نور من جديد ورجعت الأنغام تلعلع من تاني.. كل يوم نغم طالع بيزف مولود جديد.. يا حلاوة مصر لما تغني ويا حلاوة المغنى لما يطلع من قلب مصر..

*   *   *

الفاجومي (21)

أنـــــــا..

وجَـرَاد يوليو

القاهرة صدقوني.. مش مجرد مدينة.. القاهرة دي كودية زار تهيج النسوان وتطلع العفاريت على جتتهم وغزية متحزمة ولابسة الصاجات وبترقص.

وترقص الجدعان في كل فرح وتزف كل عريس.. وغجرية بتدق وتطاهر وتضرب الرمل وتوشوش الودع وتشوف، ما في حادثة كبيرة حصلت على حياة عيني إلاَّ والقاهرة قايلة لي عليها قبل ما تحصل! حتقول لي إزاي؟ اسمع الحكاية دي:

يوم سبعتاشر يناير 1977 بالليل كنا سهرانين عند عبده جبير في السيدة وآخر الليل مروحين في عربية سعيد النشاقي وفي ميدان باب الخلق بالتحديد بصيت من شباك العربية وقلت لهم:

– القاهرة مكفهرة يا جدعان.. الهوا مكبوس ولونه مخطوف.. لازم فيه حاجة حتحصل – كنا أربعة في العربية أنا وعزة بلبع اللي كانت أيامها مراتي وسعيد النشاقي ومراته هيدز الشابة الأيرلندية الجميلة الودودة المثقفة والإنسانة الرائعة اللي تخليك غصب عنك تحب أيرلندا واللي ييجي منها.. المهم أنا قلت لهم كده وهما انفجروا بالضحك.. وقالوا لي في نفس واحد:

– ربنا يجعلنا من بركاتك يا شيخ نجم.

الساعة عشرة الصبح لقيت حرمي المصون السيدة عزة بلبع حفيدة مرسي باشا بلبع بتصحيني بمنتهى الرقة:

– إيه.. إنت نايم ولا ميت.. قوم الناس في الشارع والحكومة هربت..

أفتح عينيه ألقي لك المدام تبعي مالية جيوب الجينز زلط ووشها معفر ومهبب بستين نيلة وإديها لتتين مليانين زلط ولسه بسلامتها جاية من المظاهرة تشرب شاي وراجعة تاني!

دي مجرد مرة من ضمن المرارير اللي قالت لي فيهم القاهرة ع اللي حيحصل بكره ولسه ياما حنشوف.

* * *

نرجع لموضوعنا الأولاني سنة 1967 الصيف سنتها لا شفت له ندى صبحية ولا لمست له نسمة عصرية.. كان صيف مكتوم كتمة الفول في القدرة.. تحس كده إن فيه حاجات تقيلة كاتمة على مراوحك وأنت يا ولداه على رأي شكوكو:

جرحوني وقفلوا الأجزاخانات

لا قالوا لي إزيك

ولا سلامات!

* * *

فرسان الصحافة الموجودين في كل عصر رغم كل شيء كانوا أيامها بيتكلموا عن إفراز مرضي طالع من عباية الثورة.. جراد أصفر انتشر فجأة وبكثافة مخيفة، انتشر فوق المزارع والمصانع يبلع الأخضر واليابس ويكرش ويسمن وخدوده تحمر من دم الشقيانين.. قالوا عنهم كلام كتير لكن حجازي كان بيرسمهم بكروش ولا بسين بدل سودا ونضارات سودا وراكبين عربيات سودا آخر موديل وبيشربوا السيجار الهافانا الشديد واحتدمت المناقشات في شأن هذه الكائنات الغريبة وهل هما شريحة ولا طبقة جديدة؟ إذا كانت شريحة يبقى كفاية حركة تطهير تخلصنا منهم وإذا كانت طبقة جديدة تبقى المسألة محتاجة ثورة تاني، يعني ثورة على الثورة وانتهز عبد الناصر فرصة مناسبة.. وخطب، طبعاً كل الناس كانوا منتظرين الخطاب بفارغ الصبر وكل الناس كانوا متأكدين إن الريس بخطبة واحدة حيقضي ع الطبقة الجديدة ويخلصنا منهم في غمضة عين وبدأ الخطاب وبعد الديباجة والذي منه فوجئنا بالقائد بيقول بعلو حسه:

– مافيش طبقة جديدة.

قلت في عقل بالي:

– أحَّه.. يبقى الريس مش شايف حاجة م اللي إحنا شايفينه. أحتين وحتة..

وبعدين قال إن فيه إطار للعمل الوطني اللي هو تحالف قوى الشعب العاملة وبعدين قال بلهجة تهديد واضحة:

– بتوع الكاريكاتير زودوها قوي.

يا نهار زي النيلة يا واقعهة زي الطين.. ليه كده يا ريس؟! داحنا مالناش غيرك! أنا عن نفسي كنت باحبه لدرجة العبادة وكنت باحسد نفسي إني عشت في عصره وكنت فرحان وفخور إنه رئيس مصر وقائد ثورتها في الزمن اللي أنا عشته وكان كلامه عندي زي القرآن وكلام أبويا علي الشمروخ وأمي وكل الناس اللي باصدقهم عشان باحبهم.

بتوع الكاريكاتير؟! يا خسارة يا ريس.. يا خسارة يا مصر.. بقى المعاناة والقرف اللي شايلينه وكاتمين الدم ع القيح وطوابير الجمعية وبهدلة بناتنا في الأوتوبيس وشبابنا اللي راح في كل بلد شهداء وولادنا واخواتنا في المعتقلات بدون تهمة والرعب اللي لابس جتتنا من صلاح نصر وحمزة البسيوني والدجوي وغيره وغيره بقى كل دا بفعل رسامين الكاريكاتير ولاد ستين في سبعين؟ أما صحيح اللي اختشوا ماتوا والله يرحمك يابا علي يا شمروخ.

أنا بصراحة لقيتني مطالب بحركة جدعنة مع رسامين الكاريكاتير اللي باحبهم على قد ما بيمتعوني بخفة دمهم ويضحكوني على نفسي.. هما دول ولاد مصر وضميرها الصاحي ولسانها الحراق ودمها اللي زي السكر.. كفاية إن فيهم حجازي – الفنان الشعبي العظيم اللي شايف كل

حاجة كويس قوي وبينشن على عين الدمل من غير ما يعمل غوشرة حوالين نفسه ولا يطلع في تليفزيون ولا ينزل في رمضان ولا يرشح نفسه في انتخابات ولا يصاحب مسئول.. كل طاقته حطها في كف إيده الأخضر ولون في الكاريكاتير بالمصري وسقاه شابه وفاسوخة وتمر حنة وزود ورد ودار صيني وجاوي وعنبر وعين العفريت وكل البهارات المصرية الحراقة ما جابش موزار وبتهوفن ورشهم ع الموال المصري زي ما عمل الدكتور اللواء، لأ حجازي بقى قلب الآية رش المصري اللي كان ضايع ع الأجنبي اللي كان موجود روقه وزوقه وسقاه من فيض النيل خر العسل منه إزاي بقي يا عم جمال تعمل كده في ولادك وتنصر عليهم الحرامية؟!

يا ترى يا هل ترى إنت عارف الحرامية دول وبتدافع عنهم؟ دي تبقى مصيبة ولا أنت ما تعرفش بوجودهم من أصله؟.. دي تبقى مصيبتين. القصد. استخرت ربنا واستعنت ع الشقا بالله وكتبت دفاعاً عن رسامين الكاريكاتير وأولهم عمي وأستاذي أحمد إبراهيم حجازي:

يعيش أهل بلدي

وبينهم مفيش

تعارف

يخلي التحالف يعيش

تعيش كل طايفة

من التانية خايفة

وتتزل ستاير

بداير وشيش

لكين في الموالد

يا شعبي يا خالد

بنتلم صحبه ونهتف يعيش

يعيش أهل بلدي

*

يعيش المثقف

على مقهى ريش

يعيش يعيش يعيش

محفلط مزفلط

كتير الكلام

عديم الممارسة

عدو الزحام

بكام كلمة فاضية

وكام اصطلاح

يفبرك حلول المشاكل قوام

يعيش المثقف

يعيش يعيش يعيش
يعيش أهل بلدي
*
يعيش التنابله في حي الزمالك
وحي الزمالك
مسالك مسالك
تحاول تفكر
تهوب هنالك
تودر حياتك
بلاش المهالك
لذلك
إذا عزت توصف حياتهم
تقول الحياة عندنا
مش كذلك
*
وممكن تشوفهم
في وسط المدينة
إذا مر جنبك
أوتومبيل سفينة

قفاهم عجينة
كروشهم سمينة
جلودهم بتضوي
دماغهم تخينة
سنانهم مبارد
تفوت في الجليد
مافيش سخن بارد
بياكلوا الحديد
مادام نهر وارد
وجاي م الصعيد
تزيد الموارد
كروشهم تزيد
وتسمع وتسلم
بأن التنابله
أو الآكلين
حيسمع كبيرهم
ويعمل مقابلة
مع الفلاحين
ويحصل تعارف

ما بين الجميع

ونملا المصارف

بدم القطيع

أطيع الخليفة

أطيع والديك

أطيع التنابلة

دا مفروض عليك

وتزرع وتبعت

لحي الزمالك

وحي الزمالك

مسالك مسالك

تحاول تفكر تهوب هنالك

تودر حياتك

بلاش المهالك

لذلك

إذا حد جاب لك سيرتهم

تبسمل تكبر

وتهتف كذلك

يعيش التنابله

يعيش يعيش يعيش
يعيش أهل بلدي
*
يعيش الغلابة
في طي النجوع
نهارهم سحابه
وليلهم دموع
سواعد هزيله
لكن فيها حيله
تبدر تخضر
جفاف الربوع
مكن شغل كايرو
ما يتعبش دايره
لا ياكل
ولا حتى يقدر يجوع
يا غلبان بلدنا
يا شحم السواقي
يا فحم المصانع
يا منتج يا مبهج

يا آخر حلاوة
يا هادي
يا راضي
يا عاقل
يا قانع
ما تتعبش عقلك
في شغل السياسة
وشوف أنت شغلك
بهمه وحماسه
وعوّد عيالك
فضيلة الرضا
لأن إحنا طبعاً
عبيد القضا
ورزقك
ورزقي
ورزق الكلاب
دا موضوع مؤجل
ليوم الحساب
كمان الصحافة

حتكتب في حالتك
وتنشر مناظر
لخالك وخالتك
وتطلع يا مسعد عليك الغناوي
وتسمع باسمك
في قلب القهاوي
تحبك مشيره وبنات الجزيرة
وقصة غرامك
تشيع في الرداوي
يعيش عم مسعد
يعيش يعيش يعيش
يعيش أهل بلدي

* * *

ودي كانت نهاية فرقة بطاطة المسرحية وبداية المشاكل مع الحكام واللئام وشال الحمام.. حط الحمام.

* * *

الفاجومي (22)

وفي يونيـــو 67
خـــاب أمـــل
الحـشـاشين

صديقي الكاتب الليبي الكبير الصادق النيهوم اللي هو بالنسبة للثورة الليبية زي إحسان عبد القدوس بالنسبة لثورة يوليو. ومن الصدف السعيدة جداً أن قابلته في الفندق الكبير في طرابلس فاتعلقت بيه زي الغريق ما بيتعلق في قشاية.. كانت الوحدة حتقتلني في الفندق.. هو صحيح الموت في فندق خمس نجوم أحسن من الموت في سجن الاستئناف أو حتى في أوضة حوش آدم لكن أنا ما كنتش عايز أموت من أصله، وكل واحد بقى حر وإذ بي أفاجأ بالصديق العقيد يوسف الدبري داخل عليَّ الصبح وبيقولي:

– دا الأستاذ الصادق النيهوم موجود هنا عرف إنك موجود وعايز يشوفك.

قلت له:

– معقول! هو هنا من إمتى؟

(طبعاً أنا لا كنت عارف مين هو الصادق النيهوم ولا هو هنا فين).

قال لي:

– دا وصل إمبارح من جنيف لأن معمر بعت له ويمكن يقعد هنا أسبوعين.

المهم قابلت الصادق النيهوم.. شخصية باهرة.. كل ما تقترب منه تكتشف جانب جديد مضيء لدرجة الإبهار، ثقافة واسعة متنوعة وموهبة أصيلة في الكتابة وانتماء عربي راسخ رغم إقامته الجبرية في جنيف أحد معاقل الصهيونية الراسخة في أوروبا.. قبل ثورة الفاتح كان بيكتب في الصحافة سلسلة من المقالات شديدة الأهمية بالنسبة لكل المثقفين الليبيين وخصوصاً ظباط الجيش المناوئين للحكم الملكي وبالتحديد تنظيم الظباط الأحرار اللي قام بالثورة بقيادة العقيد معمر القذافي وكعادة الثورات في كل زمان ومكان ركبوا الانتهازيين الموجة وحاصروا الثوار الحقيقيين ونجح الصادق النيهوم في الإفلات بجلده من الحصار وحط بيه الرحال في جنيف مع احتفاظه بعلاقات جيدة بقائد الثورة معمر القذافي!!؟

والصادق النيهوم له مجموعة من المؤلفات القيمة يعرفها جيداً ويعتز بيها كل المثقفين في المغرب العربي ومن أشهرها كتاب – الحيوان – اللي استخدم فيه مزج من أسلوب الجاحظ في كتابه اللي بيحمل نفس الاسم وأسلوب بيدبا فيلسوف الهند في كتابه – كليلة ودمنة –.

أثناء ما التقيت بالصادق في طرابلس كان على وشك الانتهاء من كتابه – صوت الناس – ولحسن حظي إن بعض فصول الكتاب كانت موجودة معاه وقرا لي منها فأمتعني رغم أن محتوى الكتاب شديد

الجفاف.. لأنه بحث عن الهوية العربية! وكان الفصل المكتوب عن ديمقراطية الحكم هو أهم الفصول في نظري.. هو بيقول في الفصل ده إن العالم لم يشهد في تاريخه حكم ديمقراطي غير الأربعة وعشرين سنة اللي هما بداية الدولة الإسلامية وبيقول إن كلمة المسجد كلمة دخيلة على الإسلام وإن الاسم الصحيح هو الجامع وإن الجامع ما كانش مجرد مكان لإقامة الشعائر وكان بالدرجة الأولى برلمان مفتوح الباب والعقل أمام كل الآراء بلا قهر ولا تعتيم، وضرب عدة أمثلة معروفة في أدبيات الإسلام.. لكن أخطر شيء في هذا الفصل.. هو قرار الحرب بيقول إنه لم يحدث في خلال هذه الفترة أن انفرد شخص باتخاذ قرار الحرب ولا حتى الرسول نفسه لأن المسألة كانت تطوعية يعني ما كانش فيه جيش نظامي قائم على الخدمة الإجبارية بالأجر يعني كان الرسول ρ أو أمير المؤمنين τ يصعد المنبر ويخطب في الناس ويتحاور معهم في كل شئون الدنيا والدين وعند مسألة الحرب يطرح وجهة نظره للمناقشة وبعد الموافقة الجماعية ينادي بلال حي على الجهاد ويخرج كل واحد من الجامع على بيته يتقمط سلاحه ويخرج للجهاد في سبيل الله بمحض قناعته وإرادته فإذا أتى نصر الله والفتح فالثواب للجميع بالتساوي وإذا وقعت الهزيمة يتحملها الجميع بالتساوي برضه.

أنا سبقت الأحداث واخترت الوقعة دي بالذات لأني ما لقيتش أنسب منها مقدمة للي جاي.

إحنا كنا قاعدين في أمان الله لا بينا ولا علينا، الحر عاجن الناس في هدومها وأزمات التحول الاشتراكي محاصرة المواطن ومفيش أي فايدة من المقاومة على رأي الأفلام المصرية لكن برضه كان فيه منفس في حفلات أم كلثوم ولقاء السحاب بينها وبين الدكتور عبد الوهاب وماتشات الكورة اللي على ودنه والاستمتاع بفن صالح سليم والضظوي والفناجيلي وحمادة إمام وسمير قطب وباقي كباتن مصر الحريفة وفجأة وبدون مقدمات طلعت علينا الصحافة بمانشيتات ملتهبة:

– "إسرائيل تحشد حشوداً على حدود سوريا".

– يا نهار زي بعضه يا جدعان.

– يا ترى الريس حيسكت؟

– يسكت إزاي يا جدع!! دي سوريا.

– حقه كله إلا سوريا.

– قال يا خبر النهاردة بفلوس بكره يبقى ببلاش. وفعلاً – هنا القاهرة – قالها المذيع بلهجة خطيرة بعد ما قطع الإرسال فجأة وبدأ المذيع أبو صوت رخيم ضخيم فخيم يقرا خطاب موجه من الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً للمسيو أوثانت أمين عام منظمة الأمم المتحدة ذات نفسها.. وبدأ المذيع الخطاب بالعبارة التالية:

"عزيزي أوثانت" – توصوروا! يعني إحنا المذيع بتاعنا راسه برأس سكرتير عام منظمة الأمم المتحدة يا جدعان!

– أمال يا جدع داحنا عندنا القاهر والظافر.

– دا بيقولك تلاتة قاهر وتلاتة ظافر يدمروا إسرائيل بالكامل وياكلوا حتة من لبنان فوق البيعة.

– طب ما نضرب تلاتة قاهر واتنين ظافر عشان ما نعورش لبنان.

– حتفضل حتة من إسرائيل يا مخشمون.

– ندكها بالميج تلاتة وعشرين يا أهبل.

– تلاتة وعشرين إيه يا متخلف.. إحنا عندنا السبعة وعشرين.

المهم إن الخطاب بيقول لعزيزة أوثانت ما معناه لم العيال بتوع البوليس الدولي واتكل على الله وسيبنا إحنا وإسرائيل نخلص مع بعض.

أنا عن نفسي كنت عارف القاهر والظافر والميج وما إلى ذلك وكنا بنشوفهم في العرض يوم تلاتة وعشرين يوليو من كل سنة وكان صوت الطيارات بيكسر قزاز العمارات العالية وجنازير الدبابات بتهرس أسفلت الشوارع ودا في حد ذاته كان بيفرحني في ولاد الكلب سكان العمارات العالية والشوارع المسفلتة، فما بالك لما ده كله ينزل على دماغ إسرائيل عميلة الإمبريالية ورأس جسر الاستعمار الجديد.. الحمد لله إني عشت وح أشوف اليوم دا بعيني! أحمدك وأشكر فضلك يا رب.

الناس انشحنت في الشوارع والبيوت وزي عادة المصريين الطيبين كل واحد نسي مشاكله الخاصة وانغرز لشوشته في مشكلة الوطن، الشيخ حسين إمام الجامع الكفيف الظريف قال لي:

– إن شاء الله الاصطباحة في تل أبيب يابو النجوم.. هناك الحشيش من على أبوه ولا تقولي مصطفى مرزوق ولا قوطه ولا دياولو.

قلت له:

– ولا حسن نصار؟

قال لي:

– ولا حسن نصار.. باقول لك من على أبوه يا بني آدم تقول لي كاني وماني.

والشيخ إمام بدأ يهيأ نفسه لإقامة أول حفلة غنائية في فلسطين المحررة! أنا كان رأيى نعملها في تل أبيب لكن هو صمم نعملها تحت قبة الصخرة.. أنا ما أعرفش قبة الصخرة دي فين لكن اضطريت أوافق أمام إصراره العجيب.. غير كده بقى مجموعة العزاب لضيق ذات اليد علقوا آمال كبيرة على حل مشاكلهم الجنسية مع نسوان اليهود اللي بيموتوا في الراجل المصري حسب زعم أحمد الزيني.

.. وانتشرت الملصقات في الشوارع.. إسرائيل إلى البحر.. في خليج العقبة كسر الرقبة.. وحاجات من هذا النوع واشتغل مطبخ الأغاني في عزبة ماسبيرو ولأن الكلام زي ما بيقولوا – ما عليهش

جمرك – اتفتحت علينا ماسورة الإذاعة غرقتنا كلام مجعلص ورهيب من ماركة:

الدم الدم الدم

الدم الأمريكاني

وكاني ماني ياني

واضرب اضرب

لجل العيال ولجل الجبال ولجل الخيال

ولجل أي حاجة آخرها أل، فيه شاعر تصور إنه داخل عركة في سوق الخضار فقال:

ولا يهمك يا ريس

م الأمريكان يا ريس

حواليك أجدع رجال

ويوم الاتنين خمسة يونيو صحينا ع المارشات العسكرية في الراديو والبلاغ رقم واحد واتنين وتلاتة.. أنا خرجت من حوش آدم وكنا موقعين حداشر طيارة وصلت المنظمة كانوا بقوا أربعة وتسعين بقى كل اللي يقابلني راجل مرا آخده بالحضن.. حالة من الجنون الفرحان عشتها في حياتي تلات مرات: مرة يوم طرد الملك فاروق والمرة دي والمرة الأخيرة يوم قتل السادات.. تصور بلغ بي الجنون إني آخد شاعر شرايين اليأس بالحضن فانتهزها فرصة وزنقني في المكتب وسمعني

القصيدة اللي كتبها في الموضوع.. سمعني حوالي أربعة وثمانين بيت وبعدين قال لي دا المطلع قلت له كمل وإن شاء الله قبل ما تخلص القصيدة يكون الطيران الإسرائيلي وقع كله، وفجأة سمعنا صوت طيران واطي فاندفعنا إلى سطح المنظمة وشفنا طيارتين ماشيين على وش النيل وفوجئنا بالأستاذ إدوار الخراط الأديب المعروف ومدير الشئون الفنية بالمنظمة طالع ورانا جري وبيقول لنا بلهجة جارحة:

- إيه اللي طلعكوا هنا؟.. إنزل إنت وهو.

أنا حسيت إن لهجته بتنطوي على اتهام!!! حالة الفرح المجنون اللي كنت عايشها هي اللي منعتني من الرد عليه.

بعد اليوم الأول الفار بدأ يلعب في عب الناس:

- إيه الحكاية؟ عدد الطيارات الإسرائيلية اللي وقعت كتير قوي.

- والدفاع الجوي هو اللي وقعها! أمَّال فين الطيران المصري؟

- يمكن مدكنينه للضربة الأخيرة.

- قريت هيكل النهاردة؟

- لأ. سمعت أحمد سعيد؟

- عرص اللي فاهم حاجة في البلد دي.

- وطي صوتك لنروح ورا الشمس.

.. تاني! الناس خرجت من حالة الفرح ورجعت للبلبة والخوف.. الموقف غامض والبيانات الرسمية حاجة من اتنين يا إما اللي كتبها

أبله يا إيما متصور إنه بيكلم شعب أبله.. يعني لما يطلع أحمد سعيد يقود المعركة من صوت العرب وكأنه بيشجع ماتش كورة ويقول:

– بشرى يا عرب، لبنان دخل المعركة لمدة دقيقة. يبقى دا راجل عاقل؟

* * *

الفاجومي (23)

يــوم أذاعــوا

خبـــرسينــا

بصــوت نجـاة

دوامـة مرعبـة لفتتـا كلنـا.. دوامـة مـن الرعـب والقلـق يـا تـرى يـا هتلـرى.. النـاس فـي الشـوارع والقهـاوي والأتوبيسـات مبلمـين.. ماحـدش قادر يبص في وش التاني.. الضحكة المصرية الصافية الجريئة ماتت.

زكي كمساري أتوبيس 95.. المشاكس خفيف الدم ركبت معاه يوم 7 يونيو لقيته ساكت وحاطط وشه في خشبة التذاكر وبياخد الفلوس من الركاب ما بيبصش فيها زي عوايده ويشاغب مع الركاب..

زكـي ده كـان متعـة بالنسبة لركـاب خـط 95.. آخـر طرفاتـه كانـت قبل الحرب بيومين مع مواطن قروي راكب ومعاه قفة، قعد زكـي يحسس عليها وبعدين قال له:

– إيه ده؟.. المشلتت ممنوع في مصر.

الراجل قال له:

– ومين اللي منعه؟

قال له:

– بلاش كلام في السياسة لنروح أنا وأنت في أبو نكلة.

زكي النهاردة حزين ومبلم.. سألته من باب كسر الصمت:

– مالك يابو الزيك؟

بص لي ماقدرتش أحط عيني في عينه.. نزلت وشي في الأرض تاني.. وصلت المنظمة لقيت نفس الحالة.. ما حدش بيتكلم مع حد.. ماحدش بيبص لحد، الناس خايفة من بعضها.. عايز أتكلم مع حد عايز أفضفض. دخلت مكتب فاضي وقفلت على نفسي بالمفتاح من جوا وبدأت أكتب:

واه يا عبد الودود
يا رابض ع الحدود
ومحافظ ع النظام
كيفك يا واد صحيح
عسى الله تكون مليح
وراجب للأمام
أمك ع تدعي ليك
وع تسلم عليك
وتجول بعد السلام
خليك دَدَع لابوك
ليجولوا منين دابوك
ويمصخوا الكلام
*
واه يا عبد الودود

ع اجولك وأنت خابر
كل الجضيه عاد
ولسه دم خيَّك
ماشرباش التراب
حسك عينك تزحزح
يدك عن الزناد
خليك يا عبده راصد
لساعة الحساب
آن الأوان يا ولدي
ما عاد إلا الميعاد
تنفض الشركة واصل
وينزاحوا الكلاب
إن كُنت وَد أبوك
تديب لي تار أخوك
والأهل يبلغوك
دميعاً السلام

*

واه يا عبد الودود
كيفك وكيف زمايلك

عسى الله طيبين
خالك زناتي داي لك
ضمن المتطوعين
واختك تطلع يوماتي
ع المستشفى الجديمة
حاكم عيمرونها
في العركة تكون حكيمه
ومحمدين موافي
يتعلم المطافي
ويجولك شد عزمك
ويجولك العوافي
ومن هنا الجرايب
والعيلة والعيال
ع يبلغوك سلامهم
ولتمة الرجال
وآخر الكلام
نجولك في الختام
الله يصون بلدنا
ويحرس السلام

والدك حسن محارب

غفير برج الحمام

يوم الخميس الحزين تمانية يونيو سنة 1967

اليوم دا بيفكرني بموال قديم سمعته مرة من عيد السروجي زميلي في عمال الكنال بتوع السكة الحديد تبع الزقازيق.. الموال القديم بيقول:

يوم التلات الذي

فات

صعب ياخواتي

في حي بلبيس

عساكر جيش

لمنع الناس

عن النحاس ياخواتي

البطل أحمد سعيد بطَّل زعيق وتهديد وغلِّب صوت العقل وبدأ يقول كلام مفهوم.. وأتاري إسرائيل دي بقت طلعت ما عندهاش ريحة الشرف ولا هي ولا أمريكا.. وإن الولس هو اللي هزم عرابي!!

البيانات العسكرية جزاها الله كل خير طمنتنا وبردت قلوبنا ع الفرقة الرابعة المدرعة وإنها سليمة والحمد لله، كما خط دفاعنا التاني مازال متماسك بعون الله!!

والظاهر والله أعلم إن البوبينة تبع المارشات العسكرية عطلت ولاَّ حاجة فقاموا مشكورين مركبين بوبينة تانية يقوم على بختنا يطلع ع البوبينة التانية أغنية:

كل شيء راح وانقضى

واللي بيننا خلاص مضى

ماتفهمش مين هو اللي بينا ومضى عليه إيه؟

أنا بوداني اللي حياكلها الدود سمعت الغنوة دي في اليوم المذكور تلات مرات وعلى موجة البرنامج العام فقط لا غير!

باقول ممكن تكون الحكاية صدفة! عموماً إن بعض الظن إثم.. هي صدفة برضه أما صحافة صباح اليوم الحزين فكان شكلها زي المنقد اللي انطفت ناره بكوز ميه فبقى معجنة.. مانشتات عجيبة ما تعرفش ولاد الحرام كانوا بيجيبوها منين.. وقف ضخ النفط.. نفط ضخ الوقف وحاجات من هذا القبيل شرطاً بالحبر الأحمر.. إيه رأيك بقى؟ وآخر الليل ما هانش عليهم يسيبوا فينا بصاية والعة راحوا دالقين على دماغنا الخبر الشوم – مصر تقبل وقف إطلاق النار – انطفينا يا ولداه وانكفينا وكفينا ع الخبر خمسة وأربعين مليون ماجور.

آخر نهار الخميس الحزين خدت نسخة من قصيدة عبد الودود ورحت على دار أخبار اليوم عشان ينشروها في مجلة آخر ساعة اللي كان رئيس مجلس إدارتها يوسف السباعي برضه كان لازم القصيدة دي

توصـل لصـاحبها عبـد الـودود المصـري اللـي هـو زكـي كمسـاري 95 وسـمنطر زميـل النقـل الميكـانيكي وشـاعر الشـرايين وأحمـد سـليم عامـل التراحيل الشيوعي وأبوك علي الشمروخ والأستاذ محمد المصري.. عبد الودود المصري يا أخي الراجل الشقيان الطيب أبو دم زي العسل.. كل اللـي بيغنـوا نسـيوه تصـور! مـع إنـه هـو اللـي عليـه الـرك فـي الحـرب والسلام.

دخلت مكتب مدير مكتب يوسف بيه لقيت اتنين أفندية قاعدين على مكتب وكراسيهم لازقة في بعض وساكتين وأول ما شافوني داخل بصوا لبعض قلت لهم:

- سلام عليك.

ما حدش رد.

قدمت الورقة لواحد منهم فبدأ يقرأ بصوت مسموع:

واه يا عبد الودود

يا رابض على الحدود

قال لي:

- ما خلاص ما بقاش في حدود.

رحت مطلع قلم من جيبي وشاطب المطلع وكاتبه كده:

واه يا عبد المتعال

يا رابض ع الكنال

بصوا لبعض بدهشة وقال لي واحد منهم:

- يوسف بيه جوا خش إديله القصيدة.. وبصوا لبعض وضحكوا.

دخلت المكتب الأعظم لقيت يوسف بيه في منتهى الأناقة لابس قميص رمش العين أزرق فاتح بياقة فانهاوزن وبنطلون رمادي فانلة وجزمة بني وش إنجليزي عريض وشراب رمادي نايلون حتقولي شفت الجزمة والشراب إزاي؟ لأنه كان قاعد ع الكرسي وممدد رجليه ع المكتب في وش الداخل من بره وماسك التليفون اللبني وبيهمس وعنيه الجميلة مبتسمة زي أجدع وأجمل شجيع سيما أمريكاني.. ساعة ما شافني اتعدل في قعدته ناولته القصيدة وقلت له:

- انشر دي.

خدها مني وقال لي:

- حاضر حنشرها العدد الجاي.

نزلت من أخبار اليوم زي اللي مضروب على دماغي بدل ما اتجه لشارع فؤاد اتجهت لميدان رمسيس من شارع الجلاء عند مستشفى السكة الحديد لقيتهم راميين المرضى على الرصيف وعربيات جيش واقفة قدام المستشفى بينزلوا منها جثث وجرحى وشفت كيس مشمع مليان ما أعرفش إيه وغرقان بقع دم من برا ما أعرفش إزاي وصلت حوش آدم دخلت الحمام حسيت بإسهال شديد كأنه ميه سخنة، مديت إيدي بابص فيها لقيتها غرقانة دم أحمر جيت أقوم ما قدرتش ندهت

علـى محمـد علـي جـه خـدني مـن الحمـام نيمنـي ع الدكـة الخشـب مـا أعرفش نمت قد إيه.. صحيت على صوت إمام قال لي:

– سلامتك.. نجيب لك الدكتور عبد الفتاح؟

قلت له:

– ما تيجي نتمشى.

قال لي:

– بينا.

نزلنا من حوش آدم دخلنا الغورية شمال على بوابة المتولي وتحت بوابة المتولي قلت له:

– هنا بالظبط كان متعلق جثمان طومانباي.

قال لي:

– رحمة الله عليه.

قلت له:

– رحمـة الله علينـا إحنـا.. إحنـا دلـوقتي اللـي نسـتحق الرحمـة يـا إمام.. وخرجنا من بوابة المتولي يمين على تحت الربع خلصناه وحودنا يمين على بورسعيد ويمين على الأزهر ويمين على الغورية وشمال على حوش آدم وصلنا البيت كانت انكتبت واتلحنت أول قصايد الرد على الهزيمة.. ليلتها جه سعد الموجي ووجيه القاياتي ومنير سويلم وجمال الموجي وغيرهم وفضلنا نغني حتى مطلع الفجر.

ناح النواح والنواحه حاحا
على بقرة حاحا النطاحة حاحا
والبقرة حلوب حاحا
تحلب قنطار حاحا
لكن مسلوب حاحا
من أهل الدار حاحا
والدار بصحاب حاحا
وحداشر باب حاحا
غير السراديب حاحا
وجحور الديب حاحا
وبيبان الدار حاحا
واقفين زنهار حاحا
وف يوم معلوم حاحا
عملوها الروم حاحا
زقوا الترباس حاحا
هربوا الحراس حاحا
دخلوا الخواجات حاحا
شفطوا اللبنات حاحا
والبقرة تنادي حاحا

تقول يا ولادي حاحا
وولاد الشوم حاحا
رايحين في النوم حاحا
البقرة انقهرت حاحا
في القهر انصهرت حاحا
وقعت في البير حاحا
سألوا النواطير حاحا
طب وقعت ليه؟ حاحا
وقعت م الخوف حاحا
والخوف ييجي ليه؟ حاحا
من عدم الشوف حاحا
وقعت م الجوع ومن الراحة حاحا
البقرة السمرا النطاحة
ناحت مواويل النواحة
على حاحا
وعلى بقرة حاحا

ملحوظة:

لتنين الصحفيين اللي كانوا في مكتب مدير مكتب يوسف بيه مازالوا أحياء وربنا يديهم الصحة والعمر وهما الأستاذ طارق فوده والأستاذ أحمد صالح.

الفاجومي (24)

الأفـنــــــدي
الـذي أخبــرنا
بتنحي عبد الناصر
قبـل عبد الناصـر

كان أبويا المرحوم علي الشمروخ أوقات الشدايد– ومكترها – يقول لنا يا ولادي ما تتزعجوش م المصايب.. دا ربنا قبل ما يقدر البلا بينزل اللطف.. سبحان الله.. تقولش سبحانه وتعالى كان عارف إن كتافنا المهدلة مش حتشيل تقل البلوى فاختار بلطفه يوم الجمعة 9 يونيو سنة 1967.. أهي الناس بتبقى قاعدة في البيوت وكل منهو مستخبي في هدومه، ودافن الوجيعة في السكات.

طب دا إحنا يوم الخميس الدامي اللي هو إمبارح وكانت الرؤية لسه ما ثبتتش.. كان حالنا حال كان كل واحد فينا حاسس إنه عامل عاملة ومكسوف يبص في وش أخوه.. دا غير بقى اللي كان له شاب ولا اتنين ع الجبهة ومش عارف لهم طريق جُره.. وكاتم الدم ع القيح ومش قادر يسأل عن العزيز الغايب وإلاَّ يبقى خاين وأناني ومش هامه غير مصلحته الشخصية وناسي هموم الوطن الكبير اللي هو عدم المؤاخذة م المحيط للخليج!

تعالى بقى ليوم ثبوت الرؤية اللي هو يوم الجمعة الحزينة يوم ما وقعت البقرة وكترت عليها السكاكين.. الوشوش كانت صفرا صفار الموت والأنفاس مكروشة وكأن الشعب المصري كله جات له والعياذ بالله نوبة ربو أو حالة احتضار جماعية.. وسي الراديو عمال كل

خمس دقايق يعلن عن بيان هام حيلقيه الرئيس جمال عبد الناصر على الأمة في تمام الساعة المش عارف كام والناس في حيص بيص ويا ترى يا هلترى.. وفجأة قال وجيه القاياتي لسعد الموجي:

– إلا قول لي يابو سعده.. هو عرابي برضه كان هرب؟

وانفجرنا بالضحك ثواني وغرق بعدها صوت الضحك في بحر السكات الحزين وحاول أوزوريس الخروج بينا من جو المأساة فسأل سعد:

– لكن تفتكر يابو سعدة الصعايدة حيسكتوا؟ وضحك لوحده وقال منير سويلم وكأنه بيكلم نفسه:

– يا ترى حيقول إيه في البيان؟

ورد عليه واحد أفندي ما أعرفوش كان قاعد يتكلم بلهجة العالمين ببواطن الأمور عن قوة أمريكا الرهيبة ويردد – بزهو – عبارة هيكل الشهيرة (نحن لا نستطيع أن نناطح الولايات المتحدة الأمريكية) قال الأفندي إياه ردًا على سؤال منير:

– حيستقيل طبعاً إذا كان عنده دم.

دا قائد مهزوم يا باشا ولو كان بيحس كان لازم ينتحر زي هتلر.. هتلر انتحر وموسوليني انتحر.. وحتى كليوباترا انتحرت.

اتهيألي إني أقوم أجيب زمارة زوره بسناني لكن محمود اللبان قال:

– أنا باقول يمكن يضربهم بالذرية.. دي عالم ما ينفعش فيها غير الذُرية.. مش احنا برضه عندنا الذُرية؟

وضحك أوزوريس تاني وقال له:

– طبعاً يابو حنفي.. عندنا الذرية الصالحة. وقال فؤاد السبكي:

– اللي مش مفهوم يابو سعده لغاية دلوقتي هو موقف الاتحاد السوفيتي. فقال الأفندي:

– الاتحاد السوفيتي لو فتح بقه حياكل نفس العلقة.

قلت له بغيظ:

– أنت جايب العلم دا كله منين؟

ضحك وقال لي بسخرية واضحة:

– دا بعض ما عندكم.

قلت له:

– أنت جاسوس.

قال لي:

– وأنت جاهل وحمار وقليل الأدب.

رحنا قايمين طابقين في خناق بعض لولا إنهم حجزونا.. وبدون ما حد يشعر قمت نزلت وفضلت ماشي من بيت وجيه في درب الجماميز لحد ما وصلت بيت مصطفى خال عفاف بنتي في غمرة.. وصلت إزاي؟ مش عارف.. توهه.. وربنا يجازي اللي كان السبب لقيت

الموضوع نفسه في شقة العزاب اللي مع مصطفى.. العيون مطفية والضحكة اللي كانت بتزعج الجيران ميتة والحزن رامي تقله ع المكان.. وسألني أحمد الزيني:

- إيه أخبار الجبهة؟

قلت لمصطفى:

- أنا ح أنام وصحيني قبل إذاعة البيان.

الساعة مش عارف كام قعدنا قدام التليفزيون مافيش نفس طالع.. وظهر عبد الناصر.. الأسد الجريح.. عيون الصقر دبلانة ومكسورة واللمعان المخيف اللي كان بيشع منها انطفى الوش الأسمر اللي كان بيطفح شباب وحيوية عجز وشاخ بين يوم وليلة وكأن صاحبه طالع م القبر يشم هوا وراجع تاني.. يا خسارتك في الحزن يا مصر.. يا عيني عليك يا جمال ياللي كنت إمبارح بس عنتر زمانك وفارس عصرك وأوانك.. يا ترى الحصان هو اللي انكسر تحتك ولا أنت اللي انكسرت فوق الحصان؟ زمان كانوا يقولوا لنا:

- الولس كسر عرابي.

واحنا من خمستاشر سنة طردنا الملك والإنجليز والبشاوات حيجينا الولس منين؟

وبدأ عبد الناصر البيان:

أيها المواطنون.. راح فين الصوت النحاسي الجهوري اللي كان بيزلزل الدنيا شرق وغرب؟ راحت فين التريقة المصرية الحراقة والابتسامة اللي كانت بتنور الضلمة حوالينا؟

القلب انكسر يا والداه والصوت العالي بقى حشرجة وأنين طالع من قلب مجروح بينزف الكلام بدمه.

كلام كتير في البيان عن مؤامرة طلع مقاسها أوسع من تصوراتنا! وهجوم كنا منتظرينه من الشرق قام ابن اللئيمة جالنا م الغرب!!

كمان السفير السوفيتي الملحد قال لنا – أوعوا تبدأوا بالضرب يا مسلمين!!

كلام مش راكب على بعضه ولا يدخل دماغ عيل بيعملها على روحه.. ومن باب بروان العتب أعلن القائل إنه بيتحمل المسئولية بمنتهى النبل والفروسية قرر إنه مش لاعب وحيسلم الأمانة لزميله وصديقه زكريا محيى الدين!!! وصرخت:

– يا ولاد الكاااالب.. لا.. مستحيل.. مش ممكن، ولقيتني واخد السلم أربعات وطالع أجري في شارع طه السيوفي وأنا باصرخ:

– لأ.. مستحيل.. مش ممكن.

ما كنتش عارف أنا رايح فين؟ ولا باقول لأ لمين؟ ولا إيه هو اللي مستحيل واللي مش ممكن! وبدأت وداني تصفر ومن خلال الصفافير بدأت أميز نفس الصريخ بنفس العبارات:

- لأ.. مستحيل.. مش ممكن.

الأول اتهيألي إن دا صدى صوتي جاي من الصحرا! لكن صحرة إيه دي ناس طالعة من الحواري زي الفيران اللي طالعة مذعورة من الجحور.. ناس بجلاليب وقمصان وبنطلونات ونسوان طالعة بهدوم البيت وعيال بجلاليب وبيجامات وكلهم بيجروا ويصرخوا:

- لأ.. مستحيل.. مش ممكن.

جريت عليهم واستخبيت فيهم وفضلنا نجري ونصرخ وكل ما نعدي على شارع جانبي ولا حارة يقابلونا ناس طالعين يجروا وينضموا لنا لحد ما وصلنا ميدان الجيش كان الميدان ترش فيه الملح ما ينزلش الأرض.. الدنيا ضلمة رغم إن الحرب انتهت إمبارح!! طافيين النور على مين؟ سمعت صوت جاي من ورايا وبيقول عبارة غريبة لبشت جتتي ورجعت أصرخ لأ.. مستحيل.. مش ممكن الراجل كان بيقول: تاه الملاح والموج غدار يا مراكبية!

وسمعنا أصوات بتقول:

- على بيت الريس في منشية البكري.

واندفعت الناس في اتجاه العباسية.. كل بلكونات شارع العباسية تقريباً كانت مليانة نسوان بتصوت وتلطم ورجالة بتصرخ بشكل هستيري لكن بيقولوا عبارات مش مفهومة.. مافيش جملة توحد الناس.. كل واحد كان بيغني على جرحه.. مافيش غنوة تجمع المصريين اللي طول

عمرهم يغنوا! في الفرح وفي السبوع وفي الموت وفي الحصاد وفي الكنيسة والجامع وعلى ضهور الركايب في البر وعلى سطوح المراكب في النيل، وفجأة بدأ واحد يغني بلادي بلادي.. غريبة! النشيد دا كان ممنوع أيام الثورة باعتبار إنه بيتكلم عن مصر ومصر تعيش أنت وبقى اسمها الجمهورية العربية المتحدة!.. متحدة مع مين؟ مش مهم.. المهم إن اسمها كده وبناء عليه اتولفت أناشيد جديدة تناسب المقام من ماركة يا جمال يا مثال الوطنية وناصر كلنا بنحبك. وإحنا الشعب اخترناك من قلب الشعب ويا جمال يا حبيب الملايين وحاجات مالهاش أول من آخر.. كل يوم تقريباً كنا بنسمع نشيد جديد من هذا النوع ويا ويلك إذا جت مناسبة وطنية.. تبص تلاقي الأناشيد نازلة ترف وكأن واحد دلق قفة زلط على دماغك وأنت حالق جلط.

المهم صاحبنا دا بدأ وإذ بالشارع والناس والبلكونات والشبابيك في نفس واحد وكأنك بتسمع فرقة كوراس مدربة:

بلادي بلادي بلادي

لكي حبي وفؤادي

مصر يا أم البلاد

أنتي غايتي والمراد

وعلى كل العباد

كم لنيلك من أيادي

يخرب عقلك يا سيد درويش.. دا أنت أتاريك بلوى مسيحة.. بقى كل الأناشيد اللي انصرف عليها دم قلب مصر واللي جندوا لها جيوش من فحول الشعرا والملحناتية واسطوات المغنواتية.. كل ده يسقط في لحظة ويضيع في الزحام المجنون وتطلع لي أنت من قلب المظاهرة بعودك الكحيان وصوتك المشروخ الأجش:

مصر يا أرض النعيم

سدتي بالمجد القديم

مقصدي دفع الغريم

وعلى الله اعتمادي

بلادي بلادي بلادي

لك حبي.. وفؤادي

أيوه أيوه يا عم الشيخ سيد يابو قلب جنينه وريشة دهب.. مدد يا موال. الوجه والحلم.. والموت والحيا.

مصر انتى أغلى درة

فوق جبين الدهر غرة

يا بلادي عيشي حرة

واسلمي من كل عادي

بلادي بلادي بلادي

لكي حبي وفؤادي

وصلتني الرسالة بمنتهى الوضوح وعرفت ليه أنت باقي أقوى من الموت والزمن مدد يا سيدي سيد يا اسكندراني مدد على طول المدد.

وصلنا مشارف منشية البكري وإذا بالمدافع المضادة للطيارات تلهب السما بسيل من القذائف اللي كانت أصواتها بتزلزل الأرض.. لكن العجيب إن الناس ما خافوش ووقفوا يغنوا.. بلادي بلادي وبعد فترة انطلقنا نجري في اتجاه البلد واحنا بنغني والدنيا ضلمة لكن ونس.. عمري ما حسيت بالأمان والونس زي ما حسيتهم وأنا باجري في الضلمة في وسط ناس ما اعرفهمش في الليلة المرعبة ليلة 10 يونيو 1967.

إيه اللي حصل تاني يوم؟ ما تسألنيش.. أنا كنت نايم سطيحة وآخر حاجة شفتها قبل ما أنام كانت المانشيت الرئيسي لجريدة الأخبار – الشعب يقول لا! – غريبة! طب ما الشعب كل يوم بيقول عشرين لا السجون والمعتقلات مليانة ناس كل جريمتهم إنهم قالوا لا.. إشمعنى بقى اللا دي هي جت على معدتكو ونشرتوها، ونمت وصحيت لقيت الرئيس جمال عبد الناصر رجع في كلامه – تلبية لنداء الشعب – وبقى رئيس من أول وجديد.. يعني اللي فات مش محسوب!

* * *

الفاجومي (25)

صــاحب زوربــا
كشــف الحرامـي
أمــل مــصــر

بدأنا نسمع الحواديت بعد ما وصلوا العساكر اللي انكتب لهم عمر جديد.. كل الحواديت كانت بتأكد حاجة.. الظباط الكبار سابوا العساكر والظباط الصغيرين وهربوا وانفجر كبت الناس في النكتة.. سيل من النكت الحراقة ملا الشارع وعلى شرط بصوت عالي.. مع إن الصوت العالي في الفترة من 1953 إلى 1967 كان عورة.

وأحياناً كان بعض الناس بيدفعوا حياتهم تمن لعلو الصوت وفيه نكتتين في الموضوع ده أنا مش ممكن أنساهم.

النكتة الأولى عن كلب جربان حاطط ديله بين وراكه وبيجري بأقصى سرعة في اتجاه الحدود الليبية وعند نقطة الحدود قابله واحد صاحبه وسأله:

- على فين يا بوبي؟

قال له:

- على ليبيا.

- حتعمل إيه في ليبيا؟ عقد عمل؟

قال له:

- أبداً ح أهوهو وراجع.

قال له:

- طب وبتجري كده ليه؟

قال له:

- ح أهوهو على روحي.. سيبني.

والنكتة التانية عن واحد لافف وشه بالشاش الطبي وقابل واحد صاحبه فسأله:

- إيه.. كفى الله الشر؟

قال له:

- أبداً.. دا الدكتور فتح لي وشي تمانية سنتي.

قال له:

- ليه؟.. خراج؟

قال له:

- لأ خلع ضرس.

قال له:

- طب ليه الدكتور ما فتحش بقك وخلع لك الضرس؟

قال له:

- وهو فيه حد يقدر يفتح بقه في البلد دي؟

وفي أول خطاب لجمال عبد الناصر بعد العودة الحميدة قال:

- الشعب بيقول إن فيه طبقات جديدة وأنا مع الشعب.. الشعب بيطالب بالتغيير وأنا مع الشعب وبعدين قال بعلو صوته: سقطت دولة

المخابرات!! واشتغل التسقيف.. نفس المسقفاتية بتوع دولة المخابرات هما اللي بيسقفوا برضه عشان سقطت دولة المخابرات!!

قلت في عقل بالي:

– خلاص بقى.. سقطت البراقع وبانت الوشوش على حقيقتها.. انتوا اللي هزمتونا مش إسرائيل على رأي الإمام علي يا أشباه الرجال ولا رجال.

.. وزى ما بيقولوا في الروايات (شمرت عن ساعد الجد) وعليَّ الطلاق بالتلاتة ما أعرف إن كان ساعد الجد ده هو اليمين ولا الشمال.. فشمرت الدراعين لتنين.

* * *

أول البلاغات الحربية اللي طلعت من غرفة عمليات حوش آدم كانت قصيدة – الحمد لله خبطنا – اللي انتشرت زي النار في الحطب لأنها كانت أول اشتباك بيني وبين السلطة وأول هجوم صريح وجريء على عبد الناصر شخصياً وسبحان مغير الأحوال.. وأنا الحقيقة ما كنتش عايز أملا المذكرات قصايد لكن القصيدة دي بالذات عملت معايا شوية ألاعيب غريبة، أولها: كنا قاعدين بنلحن حاجة جديدة وإذا بمجموعة عمال من مصنع الحديد والصلب داخلين علينا، وبعد التحية والسلامات والذي منه طلع واحد منهم ورقة من جيبه وقال لي:

– الشعر ده بيتوزع سراً في المصنع، ولما قريته عجبني فجبته لعم الشيخ عشان يلحنه.. فتحت الورقة وقريت لقيت "الحمد لله خبطنا" لكن فيها جزء زايد ما أعرفش مين اللي كتبه واكتشفت إن الجزء ده هو اللي أنا "ما كتبتوش" وكان لازم أكتبه عشان القصيدة تكمل، الجزء بيقول:

الحمد لله واهي ظاطت

والبيه حا طط

في كل حتة مدير ظابط

وإن شاء الله حمار

قلت له:

– اسمع يا إمام كده (ورحت قاري الجزء الزيادة وقلت له) إيه رأيك لو نحطه في القصيدة؟

قال لي:

– طب دوقني.

رحت قايلها كده:

الحمد لله خبطنا

تحت بطاطنا

يا محلا رجعة ظباطنا

من خط النار

*

يا أهل مصر المحمية
بالحرامية
الفول كتير والطعمية
والبر عمار

*

والعيشة معدن واهي ماشية
آخر أشيا
مدام جنابه والحاشية
بكروش.. وكتار

*

حتقولي سينا وما سيناشي
ما تدوشناشي
ماستميت أوتوبيس ماشي
شاحنين أنفار

*

إيه يعني لما يموت مليون
أو كل الكون
العمر أصلاً مش مضمون
والناس أعمار

*

إيه يعني في العقبة جرينا
ولا في سينا
هي الهزيمة تنسينا
إننا أحرار

*

إيه يعني شعب في ليل ذله
ضايع كله
دا كفاية بس اما تقول له
إحنا الثوار

*

الحمد لله ولا حولا
مصر الدولة
غرقانة في الكدب علاوله
والشعب احتار

*

الحمد لله واهي ظاطت
والبيه حاطط
في كل حتة مدير ظابط

وإن شاالله حمار

*

وكفايه أسيادنا البعدا

عايشين سُعدا

بفضل ناس تملا المعده

وتقول أشعار

*

أشعار تمجد وتماين

حتى الخاين

وإن شا الله يخربها مداين

عبد الجبار

ماسورة صرف (غير صحي) انفجرت في حوش آدم غرقت البيت رقم 2 بسيل من المثقفين والأفندية.. واتحول بيتنا التافه الحقير بين يوم وليلة إلى مزار مقدس ينحرق على بابه البخور، وتقام الشعائر والطقوس، وسبحان الذي يغير ولا يتغير!

كل الرموز الثقافية والإعلامية والفنية أو أغلبها زحفت علينا تشوف وتسمع وتندهش وتروَّح.

إحنا كمان بدأنا نخرج من كفن النسيان والتجاهل ونسهر برَّا البيت بدعوات ما نعرفش أصحابها، نتعشى ونغني ونشرب عدم المؤاخذة

الويسكي والفودكا والجن، ونعفر أجود أنواع التبغ ونركب ذهاباً وإياباً أفخر أنواع السيارات ونعاشر النساوين اللي هي..

والله وباضت لك في القفص يا فؤاد يا بن هانم وبقيت مرموق ومطلوب ومشار إليك بالبنان.

أنا كنت باتفرج على الناس اللي جايين يتفرجوا علينا، وكنت باتفرج على التغيير اللي طرأ على الشيخ إمام ومحمد علي.. الشيخ إمام في أول معرفتنا كان بيبقى قاعد بيغني وأول ما يسمع صوت الأدان يسكت فجأة ويقلب العود على رجليه ويتابع المؤذن بصوت مسموع جملة جملة، وكان شديد الأدب والحرص على اختيار الألفاظ.. دلوقتى بعد ماداق الويسكي والمزة.. كان في جرَّه وخرج لبرَّا.. اتحول لشخص عدواني وانفتحت ودانه لالتهام عبارات المديح خصوصاً من النسوان اللي كان بيعاملهم بجرأة غريبة أدهشتني!!.. واللي أدهشني أكتر إن النسوان ما كانوش بيزعلوا.. كانت وقاحة إمام بتسعدهم وتفرفشهم فيلزقوا فيه ورجالتهم قاعدين في منتهى الأهمية.. عموماً النقلة النفسية دي فجرت طاقات الإبداع جوَّا الشيخ إمام وأتحفنا بأجمل وأروع ألحانه ع المحطة والحاوي وابن البلد وصبر أيوب ويعيش أهل بلدي ودور يا كلام على كيفك دور، ولما استشهد المناضل العظيم أرنستوشي جيفارا أبدع الشيخ إمام أعظم ألحانه على الإطلاق للمرثية اللي كتبتها بدموعي لجيفارا العظيم، وبالمناسبة لما مات عبد الناصر،

ومن خلال الجنازة الشعبية الرهيبة في شوارع وحواري القاهرة سطا أحد اللصوص على جملة من لحن مرثية جيفارا وركب عليها كلام ومشيت الملايين تردد اللحن المنسوب للشخص اللص بينما مبدع اللحن الحقيقي الشيخ إمام قابع بين جدران زنزانة انفرادية في معتقل القناطر الخيرية على مرمى حجر من استراحة الرئيس!!

الكلام الأصلي اللي ركب عليه اللحن كان يقول:

يا شغالين

ومحرومين

يا مسلسلين

رجلين وراس

والكلام اللي ركبه اللص على اللحن كان بيقول:

الوداع

يا جمال

يا حبيب الملايين

الأغرب من كده إن ملحن مشهور جداً كانوا مسمينه "أمل مصر" اشترى الجملة المسروقة من اللص، ولما حضر الموسيقار اليوناني العظيم ثيودراكس لتشييع جثمان صديقه عبد الناصر عزمه الملحن – أمل مصر – وسمعه اللحن على إنه من إبداعه وطلب منه توزيعه

عالمياً و.. بعدما سمع اللحن عدة مرات سأل أمال فين الراجل اللي اسمه الشيخ إمام؟!

وباظ المشروع..!!

* * *

من المكاسب الشخصية الغالية اللي حصلت عليها من الحدوتة دي كلها كان تعرفي على الفنان العظيم الراحل كمال خليفة.

أنا ما بافهمش في الفن التشكيلي.. ومش ح أفهم.. وقابلت كتير ناس أعلام في الفن التشكيلي من أمثال جمال كامل والسجيني وعبد الهادي الجزار.. ناس لطاف قضيت في صحبتهم وقت لطيف وخلاص.. لكن كمال خليفة هو اللي كلبش في قلبي وفضل معايا على طول.. كان مصدور وعارف إن النهاية وشيكة.. لكن حبه للحياة والناس حوله لطفل متفائل مشع بالحب والدفا والحنان.. أنا من مصغري أعرف أن السل مرض معدي والعياذ بالله.. ومع هذا كنت كل ما أقابل كمال خليفة أحتضنه بشدة وأبوسه من بقه.. كنت عايز آخد منه اللي جواه ولو متغمس بالسل، وإن عشنا نعيش سوا وإن متنا نموت سوا.. مرة كنا سهرانين عنده وبعد ما سمع مرثية جيفارا سألني ودموعه على خده:

– إنت شيوعي يا أحمد؟..

قلت له:

- أنا باحب الصين.

قال لي:

- وما بتحبش مصر؟

ما عرفتش أرد عليه.. وما عرفتش إيه اللي حصل ليلتها.. تاني يوم جهزت الرد ولحنه الشيخ إمام واتصلت بكمال خليفة وقلت له:

- ألو أستاذ كمال.. أنت عندك مواعيد الليلة؟!

قال لي:

- أيوه.. ليه؟!

قلت له:

- أصل إحنا كنا جايين لك الليلة.. عارف ليه؟!

قال لي:

- ليه؟!

قلت له:

- علشان أجاوب على سؤال ليلة إمبارح.

قال لي:

- المواعيد اتلغت وأنا في انتظاركم.

* * *

الفاجومي (26)

التحــريــض

بــرق ورعــود

وقــبل القــول

طبــق فتـــة!

استقبلنا كمال خليفة على باب شقته بابتسامته المعهودة لكن المرة دي كانت الابتسامة أعرض وأجمل.

وعلى فكرة كمال خليفة الوحيد اللي ما كانش يقدم لنا الويسكي والفودكا والجن والتبغ والنساوين، كل ما في الأمر طبق الفتة بالخل والتوم وسيد الطعام اللي هو الهُبر.. ومع هذا كنت بابقى طاير م الفرح وإحنا رايحين له..

المهم لهفنا العشوة المتينة وبدا إمام يدوزن العود.. وإذا بكمال خليفة وكأنه بيقرا من دفتر الغيب يقول للحاضرين:

– أنا إمبارح سألت أحمد سؤال وهو حيجاوب دلوقتي.. السؤال كان بيقول: وما بتحبش مصر؟!

وبدأ الغُنا..

بعد السلام والمرحبه

يا ولاد بلدنا يا طيبين

نفرش كلام المصطبة

السامعين

مصر الحبيبة الطيبة

أم البنية والبنين

إيشحالها في عز الصبا

إيش حال ولادها المخلصين

وسط العواصف مركبه
بين ريح شمال
وريح يمين
جابوا الطبيب ابن الحلال
كشف ما خاف
وشاف وقال
أهل البصيرة في البلد
جواب لكل السائلين
قالوا البلد
عايز ولد
ياخد بتار المظلومين
ولد يعوض اللي راح
ويعلا فوق كل الجراح
ويمد إيده في الضباب
يشد أنوار الصباح
ويسأل الشيخ إمام:
– فيكم ولد يا سامعين؟
نقول له أنا ومحمد علي:
– أجدع ولد

يقول لنا:

– طب هو فين وهو مين؟

نقول له:

– ابن البلد

نروح كلنا مع بعض قايلين:

يا بن البلد

يا بن البلد

الوقت وقتك يا ولد

يا قلب مصر ونبضها

يا بن البلد يا بن البلد

يسري بطولها وعرضها

يا بن البلد يا بن البلد

يا قمحها

يا رمحها

يا صبحها

يا ربحها

يا نور سماها وأرضها

آدى كلام المصطبة

يا ولاد بلدنا الطيبة

بعد السلام والمرحبه

واضح لكل السامعين

* * *

بعد التسقيف ساد صمت تقيل وقام كمال خليفة خدني في حضنه الدافي ووشوشني:

– هو دا طريقك الوحيد.. يا بن البلد..

* * *

من الأماكن اللي رجلينا مشيت عليها سطح عمارة في الزمالك مرصوصة فوقه مجموعة غرف تفكرك بالزنازين، وكان ضمن نزلاء هذه الزنازين النزيل جوده خليفة والنزيل أحمد نور الدين.. الأول خريج كلية الفنون الجميلة قسم الرسم، والتاني برضه خريج كلية الفنون الجميلة لكن قسم التصوير، وفي ليلة من ذات الليالي كنت سهران معاهم فسألني جوده خليفة:

– انتو بكره عندكم ارتباطات؟

قلت له:

– لأ.

قال لي:

– فيه صينية بطاطس باللحمة في انتظاركو مع ما تيسر من الكيف والمزاج العالي.

قلت له:

– فين؟

قال لي:

– عند محمد جاد.

قلت له:

– مين محمد جاد؟

قال لي:

– إنت بديك أمك حتفتح لي سين وجيم.. فاضي ولا مش فاضي؟.. إنطق..

قلت له:

– فاضي.

قال لي:

– خلاص بكره آجي أخدكوا بتاكسي لغاية هناك.

وبكره جه جوده خليفة وخدنا بتاكسي لغاية هناك، وهناك دخلنا شقة أرضي حقيرة المنظر والأثاث، واستقبلنا ع الباب شخص زنجي يفكرك بالزناجرة اللي بيطلعوا مع طرزان في الأفلام ورحب بينا بشدة وبلهجة ريفية خشنة، وتقدمنا إلى داخل الشقة فوجدنا كوكبة من الفنانين والمثقفين أذكر منهم حجازي الرسام وعدلي رزق الله الرسام برضه، ومحيى اللباد أيضاً، والأستاذ "ميم عين" الزعيم الناصري العلم وكان

أهم الحاضرين من وجهة نظري أنا والشيخ إمام هو الأستاذ الحسيني المدرس، شخص حليوة عينه ملونة وبس.. لكن بيستمد أهميته من كونه ماسك قسم الطبيخ والمزاج، وبالمناسبة هو مش مدرس دا موظف في وزارة التموين مع محمد جاد، لكن أنا أول ما شفته إداني انطباع إنه مدرس فعاملته على هذا الأساس، وهو قبل يتعامل على أساس أنه الأستاذ الحسيني المدرس..

رقعنا العشوة المتينة وسلكنا الحناجر وبدأنا الشغل بالعزف الساحر.. الشيخ إمام بالعود وحسن الموجي بالرق، ودخلنا في موشح سيد درويش الخالد "يا شادي الألحان".

وكان رد الفعل مشجعاً فبدأنا نقول شغلنا وأثناء ما كنا بنقول أغنية شرم برم خرج محمد جاد عن جادة الوقار وسأل عدلي رزق الله:

- مين اللي كاتب الكلام ده؟!

فشاور له عليَّ، وفوجئت بمحمد جاد نازل على قصبة رجلي بخشبة وهو بيقول لي:

- يا ابن الكلب يا حيوان.. أنت طلعت لهم منين؟

الضربة كانت قوية لكن الرسالة وصلتني.. رسالة الحب اللي ربط بيني وبين محمد جاد من يومها حتى كتابة هذه السطور..

محمد جاد فلاح من بركة السبع زحف مع النازحين إلى قاهرة المعز بحثاً عن مكان تحت الشمس.. مصري الانتماء والثقافة..

مشحون بالحب والإعزاز والفخر بتاريخ مصر المحروسة وبأستاذه العظيم الراحل الدكتور حسين فوزي.. نبغ في كتابة المقالة الصحفية والقصة القصيرة والرسم!!

ومع كل هذا فضل محمد جاد في الظل بسبب خجله وعدم قدرته على الحديث عن نفسه.. عمري ما سمعته بيقول أنا وإذا قال رأي في أي مسألة ينسب الرأي ده لأساتذته حسين فوزي أو زكي نجيب محمود أو سليم حسن عاشق مصر الفرعونية العظيم.. أنا عرفت من محمد جاد مين هو إخناتون أول الأنبياء وصاحب أول ثورة اجتماعية في تاريخ الإنسانية، وعرفت منه ابن إياس المؤرخ الشعبي المصري العظيم.. حاجات كتير علمهالي محمد جاد وهو لا يدري.. المهم إن الليلة دي – ليلة البطاطس والهبر – كانت بداية لمرحلة جديدة في مشوارنا الفني أضيف فيها صوت قوي وواضح النبرات والانحياز للناس الغلابة ضد الظلم والقهر والجهل. وفي ذات ليلة كنا سهرانين في شقة العجوزة وكان الحدث الرئيسي اللي استحوذ على اهتمامات ومناقشات الحاضرين هو مظاهرات طلبة الجامعة اللي نزلوا الشارع لأول مرة منذ عام 1953 متظاهرين ضد ما سمي آنذاك بأحكام الطيران.

كانت المحكمة العسكرية العليا جداً انعقدت بناء على ضغط الرأي العام لمحاسبة المسئولين عن الهزيمة العسكرية المهينة اللي سموها النكسة، وبعد جلسات ومداولات أصدرت المحكمة الموقرة مجموعة من

الأحكام المضحكة، فانفجر الغضب من الصدور، وكانت قمة الغضب هي نزول طلبة الجامعة إلى الشارع في مظاهرات عارمة رددت مجموعة من الشعارات كان أخطرها وأوجعها..

- لا صدقي ولا الغول.. عبد الناصر المسئول..

* * *

الفاجومي (27)

مبعـوث حكومــي
بــدرجـــــــة
نــاقـــد أدبــي

نزلت قوات شعراوي جمعة المدربة "تدريب عالي" واستخدمت كل فنون وأسلحة القتال ضد الطلبة الوطنيين العزل إلاَّ من حبهم لمصر وغضبهم لشرفها..

وكما هي العادة سارعت الأقلام المشبوهة تتهم شباب مصر بالخيانة والعمالة عشان يقطعوا الطريق على أي قلم شريف يدافع عن الطلبة ويعرض وجهة نظرهم.

وكان محمد جاد هو الفنان المصري الوحيد الذي قال رأيه في المسألة ووقف جنب شباب مصر في أول تجربة شعرية يكتبها:

يام المطاهر
رشي الملح سبع مرات
ومع الزرغوتة احكي حدوتة
تعلب فات
إلا المطاهر شافها مظاهر
طب سكات وبإيده شرخ
بنيان وصرخ
وكتب ترخ
ما احناش بقرات

....

وعند محمد جاد ليلة سهرة شقة العجوز شفت عدلي رزق الله ومن ساعتها بقينا صحاب.. ممكن ما نشوفش بعض سنين طويلة لكن أنا على طول بابقى مستنية.. هو كمان بيبقى عارف إني مستنية يروح جاي فجأة أروح أنا بمنتهى النذالة مسلم عليه عادي وكأننا كنا مع بعض إمبارح.. هو كمان شكله أليط.. يعني محمد علي بس علي بشواتي، والغريب إني أقابل البرنس عدلي في جحر محمد جاد الرب علي الكائن ببدروم العجوزة اللي محمد جاد من باب المنجهة بيسميه "شقة العجوزة"!

وعدلي رزق الله مش برنس في شكله وبس.. لأ دا برنس في تصرفاته ما عندوش حاجة جهجهوني.. كل شيء عنده مترتب ومنتظم.. وتلاقيه كده بيتصرف على أقل من مهله.. ما يتكلمش عمال على بطال.. كلمه رطل وعشرة رطل.. وبيعرف ابن الحرام ينقي الكلمات اللي توصل لك هو عايز يقول لك إيه.. وبس.

يعني بلا مؤاخذة ما بيسخنش زي حالاتي في الكلام ولا بيتحمق ويروح فاقع له بقين زفرين وساعة الجد يسحب جيزه ويهرش في عرق الهيافة زي بعضهم.

ذات يوم جاني على ريق النوم فطرنا وشربنا الشاي والذي منه ولعبنا عشرتين طاولة واحد وتلاتين ومش فاكر يومها مين غلب.

هو دايماً يزعم إنه ما بيتغلبش طاولة ولو قلت له اللي بدعها اتغلب يقولك "أنا اللي غلبته" وأثناء ما وقف عشان ينزل قال لي وكأنه تذكر فجأة:

– أيوه صحيح.. أنا جايب لك رسالة من رجاء النقاش.

كانت أيام بقي "الله لا عاد يعودها" كان رجاء النقاش زي ما بيقولوا – ملء السمع والبصر – تفتح راديو تلاقيه، تفتح تليفزيون، تفتح كتاب تفتح جرنال، تفتح مجلة تلاقي الأستاذ رجاء النقاش قاعد ومربع في وسط الفطاحل من نجوم الثقافة والفن والإعلام.

أنا ربك والحق قلبي كان حيفط من حلقي من شدة الفرح.. قلت في عقل بالي:

– رجاء النقاش بجلالة قدره باعت لشخصي الضعيف رسالة؟! ومع مين؟ مع البرنس عدلي رزق الله؟ كده يبقى تمام.. أصل رجاء النقاش يعني الحكومة.. طب الحكومة حتبعت لنا رسالة ليه؟ لازم صوتنا وصل فوق ووصل بقوة وأهم طالبين يعملوا معانا مفاوضات على غرار مفاوضات باريس اللي دخلوها الأمريكان مجبرين مع ممثلي الفيت كونج.. جبهة تحرير فيتنام.

إذن ها هو المبعوث الشخصي بالباب ويطلب الإذن بالمثول.

– فليتفضل.

ورحت واخد لك بوز شديد وتخيلت نفسي محاط بالصحفيين والعدسات عماله تطلع شرار وقلت لعدلي بألاطة:

– رسالة إيه يا عزيزي؟.. أوجز أرجوك.

ضحك عدلي وجاب سيرة المرحومة أمي بشكل غير محترم وبعدين قال لي:

– هو عايز ييجي هنا.

قلت له:

– أهلاً بأي حد ييجي من طرفك.

قال لي:

– لا وحياة أمك.. هو مش من طرفي.. أنا بلغتك الرسالة وأنت حر تقبل أو ترفض.. لكن ما ترجعش تقول دا عدلي هو اللي جابهولي.

كلام يخلي الفار يلعب في عب الأسد، لكن ميول الاستعراض والمغامرة والفضول حسمت المسألة فقلت له:

– يتفضل وفورًا.

قال لي:

– فورًا إزاي؟ هوَّ ف جيبي! أنا بكره ح أبلغه بموافقتك وآجي أقولك ع الموعد اللي هو يحدده.

قلت له:

– ماشي.

وخلال يومين كان بيتنا الحقير بيتشرف باستقبال الأستاذ رجاء النقاش وبمعيته كوكبة من الصحفيين الشبان.

- أهلاً بالتليفزيون.

بدأنا نغني وأنا عيني ع الضيف الكبير.. كان في حالة ذهول تام، أنا اللي كنت باختار الأغاني فقدمنا لهم وجبة حراقة من الأغاني والقصايد وكان ضمنها - حسب المتبع - أغنية "الحمد لله خبطنا" وبعد انتهاء البرنامج بدأت أرحب بالزائر العظيم، ومرافقيه الغر الميامين، ونقلت لهم إحساسنا الغامر بالسعادة بمناسبة هذه الزيارة الميمونة لمنزلنا حقير الشأن والمنظر.. وانفتح خط المجاملات الحارة وتألق الشيخ إمام كعادته في اختيار عبارات التكريم والمديح والثناء وفضل يكيِّل لحد ما غرَّق الضيوف الكرام.

وقرر الأستاذ رجاء الدخول مباشرة في الموضوع وبدأ بالتعليق على ما حدث:

- دا شيء مدهش والله العظيم.. إزاي الفن العظيم ده تحجبوه عن الناس؟!.. ثم أدلى بالتصريح الخطير التالي:

- أنا ح أسس حزب وأسميه حزب الشيخ إمام، وح أكون من أعضائه.

ثم تساءل على استحياء:

- يا ترى تقبلوني يا شيخ إمام؟

وكان إمام لسه عايش الدور فتقمص روح طه حسين وقال بنفس صوت طه حسين:

- بل أنت مؤسسه وزعيمه إلى الأبد يا أستاذ رجاء وإليك يدي والله على ما نقول شهيد.

قلت في عقل بالي:

- يا ولاد الكاااالب.. في قعدة واحدة تأسسوا الحزب وتنتخبوا الرئيس وتبايعوه إلى الأبد!!!

وأخيراً وبلا مجاملات طلب الأستاذ رجاء إننا نظهر معاه في التليفزيون من خلال برنامجه الأسبوعي "شريط تسجيل".

وفوجئنا جميعاً بالشيخ إمام بيقول بمنتهى الجليطة:

- لا.. كله إلاَّ التليفزيون.. أنا أربأ بنفسي وبفني أن يصل للناس من خلال التليفزيون.. قال تليفزيون قال.. لا يا سيدي يتفح الله.

وذهل رجاء النقاش من عنف رد فعل الرجل الفاضل المهذب المجامل صاحب الحزب اللي لسه متأسس وزي ما بيقولوا "أُسقط في يده"، هو ما أسقطش قوي لأنه تماسك وضحك وبدأ يستفسر عن أصل العداوة بين الشيخ والتليفزيون.

عايز الجد ولا ابن عمه؟ أنا عارف السبب ورأيي إن رد فعل إمام كان طبيعي جداً لأن اللي عمله معانا التليفزيون ما يتعملش.

* * *

إحنا من كام شهر كنا على وشك اقتحام مبنى التليفزيون شخصياً.. لكن ما تزل قدم عن قدم إلاَّ بأمر الله.. ربنا ما كتبهلناش ورجعنا قفانا يقمر عيش..

والعبارة إن السيدة عايدة شكري المذيعة الأولى في إذاعة الشعب كانت في زيارة لبيت الشيخ عبد السلام بدعوة من زميلتها المذيعة الأولى في البرنامج العام السيدة جمالات الزيادي رحمة الله عليها.

وزي ما تقول إن سيرتنا جت فطلبت عايدة شكري من جمالات شريط عليه أغاني الشيخ إمام، وتطوع الفتى الجميل جمال الموجي بتلبيه رغبة الضيفة لقيناه جاي وبيسألنا عن شريط ولحسن الحظ ما كانش فيه.. بصيت على إمام لقيته مبتسم بزهو لغاية دلوقتي مش عارف كان مصدره إيه؟

سألت جمال:

- أنتوا اتغديتوا؟

فهم القصد فابتسم وقال لي:

- لسه.. وانتوا؟

قلت:

- برضه لسه.

قال لي:

- خلاص تاهت ولقيناها أنا ح آخد العود وأسبقكوا وأنت تجيب مولانا وتيجوا ع البيت نتغدا مع بعض ولو مولانا مزاجه راق وحب يتكرم علينا بحاجة نبقى أسعد ناس في الدنيا.

قلت له:

- طب ولو مولانا غَب جامد في الأكل ومزاجه اتعكر وما غناش؟

قال لي:

- يبقى كفاية علينا إننا حنتآنس بيكم.. هو دا شوية؟

قول سفحنا الغدوة المتينة والشهادة لله إن كميات البروتين اللي بلعها مولانا قصاد عيني تبشم وتسطل تلاتين مجاور أزهري على الأقل شرطاً يكونوا من بني فجعان.

وبدأ الشيخ يرد الجميل فأبدع واتسلطن وغنى بشكل أدهش الحاضرين وخاصة عايدة شكري اللي قالت كلام.. أنا اللي ما عنديش أي فكرة عن الأدب ومشتقاته بدأت أخجل وخدودي تحمر ما أعرفش جابت الحمار منين؟ والحقيقة إن عايدة شكري من الشخصيات اللي لو شفتها مرة واحدة ما تقدرش تنساها.. إنسانة مثقفة تقطر عذوبة ومودة.. حتى صوتها.. منتهى الرقة إلى جانب أنها إنسانة ولوفة وبسيطة.

قول قبل ما تنتهي القعدة كنا اتفقنا على إننا نعمل مجموعة من الشعارات الغنائية ونهديها لإذاعة الشعب يحطوها في الفقرات اللي بين

البرامج الرئيسية، وخدنا مهلة أسبوع، وحتكون هي سايبة لنا خبر عند الأمن في التليفزيون نروح نسجلهم ونرجع.

يقوم يشاء السميع العليم إنه يكرمنا بزيارة ميمونة ومفاجأة من الزميل محمد جاد في نفس الليل وبمجرد ياخويا ما قلنا له ع الموضوع راح مطلع ورقة وقلم..! ابن المجنونة في خلال نص ساعة كان كاتب شعارين: واحد دفاعاً عن المرأة والتاني ضد العنصرية.

ومسك إمام العود وهاتك يا تنجيد.. ما فتتش ساعة زمن إلاَّ وكنا قاعدين نغني الشعارين، واتلموا علينا عيال الحارة بقيادة لبيبة بنت جارنا إبراهيم هاجة اللي نزلت زغاريت طول ما احنا شغالين وبقت زفة.

* * *

الفاجومي (28)

أنـــا وإمــام
والأستـــاذ هيكل
فــي مـجلــس
الأمــن القــومي

أنا بيني وبينك دماغي ضرب (تاني) والغيرة شعوطت صرمي رحت ماسك الورق والقلم ونزلت لك حرت وقوام قوام خلصت أنا كمان شعارين وما حدش أحسن من حد!

(الغربة) و(الأوله بلدي).

وراح إمام ابن العفاريت شايطهم فبقى رصيدنا أربع شعارات في ليلة واحدة بفضل جنان محمد جاد وزغاريت لبيبة بنت هاجة و.. عبقرية الشيخ إمام.

مجرد ما نور الصبح شقشق نزلنا فطرنا الفول من عند فوزي العجيب، وسابنا محمد جاد وروَّح وبقينا لوحدنا أنا والشيخ إمام.. وسألته:

- إنت حتنام؟

قال لي:

- لأ.. وأنت؟

قلت له:

- مش جاي لي نوم م الفرحة.

قال لي:

- طب هو احنا يعني يعني.. ما معناش اصطباحة؟

قلت له:

– ولا الوتكه.. أنت إيه يا إمام.. ما بتشبعش؟!

قال لي:

– يعني انت بتشبع؟

قلت له:

– طب ما تيجي بينا نتمشاها أفرنجي لغاية التليفزيون.. منها تنشيط ومنها نعمل مفاجأة لعايدة شكري ونسجل لها الأربع شعارات ونيجي..

وبعدين سألته:

– ولاَّ أنت تعبان؟

قال لي:

– دا أنت اللي تعبان.. أنا خرمان.

قلت له:

– على ما نروح ونيجي يكون خلق في قضاه رحمة.. هيه؟ أنت واد جامد؟

قال لي:

– أنا واد جامد قوي.. قوي جداً خالص.. ياللا بينا.

حطينا كتفنا في كتف بعض وفضلنا نتدألج لحد ما وصلنا ماسبيرو.. دخلنا ع الأمن أنججيه وإمام معلق العود في دراعه

الشمال.. صباح الخير.. ما حدش رد.. إمام اتاخد.. خفت ليقفِّل ويبوظ المشوار.. قلت لبتاع الأمن:

- احنا عندنا معاد مع الأستاذة عايدة شكري.

بص لنا من فوق لتحت بمنتهى القرف وسأل إمام:

- إنت بتشتغل إيه؟

قال له:

- إنت شايف إيه؟

قال له:

- أنا شايف قدامي راجل كفيف وشايل عود.. تبقى أنت يا إمه مطرب يا إمه ملحن.

قال له:

- طب ما أنت نبيه أهُهُ.

قال له:

- واللي معاك دا بيشتغل إيه؟

قال له:

- دا الأستاذ الشاعر أحمد فؤاد نجم.

ضحك وقال لي باستظراف:

- شاعر.. شاعر بإيه؟!

راحوا ضاحكين وقال واحد منهم:

- شاعر بمغص.

وراحوا ضاحكين تاني.

قال لي:

- طب ما تشعر لنا شوية.

قلت له:

- أمك اسمها حنفي.. وأبوك عايش في كنفي.

وعينك ما تشوف إلاَّ النور.. أربعة شداد غلاظ بقوا يدألجونا على سلالم التليفزيون زي براميل الزيت، وإمام متأبد في العود سلمه ييجي فوقه وسلمه ييجي تحته.. لكن ستر ربك خرج العود من التجربة صاغ سليم، وسمعنا من خلال ضحكهم صوت جهوري بيقول لنا:

- ياللا يا زبالة يا ولاد الكلب.. إياك تعتب هنا تاني أنت وهو.

ولقيت الناس ملمومة بتتفرج زي عادة المصريين وصوت بيقول:

- هما عملوا إيه دول؟..

ورد عليه صوت تاني:

- لازم كانوا جايين يغنوا بالعافية..

أنا طلعت عليَّ بضحك، لكن فوجئت بالشيخ إمام متألم وحزين وحاسس بالإهانة ودموعه نازلة على خدوده.

قلت له:

- إنت زعلت؟

ما ردش عليَّ.

طبطبت عليه وبسته وقلت له:

– جرى إيه ياد يا خرع أنت.. بقى شوية بقر زي دول يزعلوك برضه؟!

وبعدين وحياة العيش والملح وراس سيدنا الحسين.. لو عايز تخش المخروب ده لأدخلك من أوسع الأبواب.

المهم – العود ما جرالوش حاجة، لكن الشيخ إمام هو اللي انشرخ، وفضلت الحكاية دي مسيطرة على مزاجه فترة طويلة.

عرفت بقى إيه عبارة التليفزيون معانا وليه إمام هب في رجاء النقاش؟

قلت له في ودنه:

– هدِّي اللعب وسيبني اتصرف.

وقلت للأستاذ رجاء:

– ما تزعلش م الشيخ إمام هو أصله ما بيحبش التليفزيون لكن عشان عيونك لازم يروح معاك.. وحيروح لوحده كمان..

قال لي:

– دا جميل جداً.

قالها وكأنه خرج من ورطة.. وتاني يوم جت عربية خدت الشيخ إمام العصر ورجعته الساعة عشرة بالليل.. كانت السعادة طافحة على وشه.. سألته:

– سجلتوا إيه؟

قال لي:

– سجلنا الغربة وعم السيد.

وقعد حكى لنا ازاي اتلموا عليه في التليفزيون ورحبوا بيه وازاي هو فكر يبصق على موظفين الأمن وهو خارج.. وكان سعيد جداً وهو بيحكي لي إن:

– الست شريفة فاضل قابلته بالأحضان وطلبت منه يسمعها حاجة فقعد سمعها عشق الصبايا وطارت بيها في السما وطلبتها منه عشان تغنيها فوافق فوراً على اعتبار إننا روح واحدة في جسدين!!

* * *

على أثر إذاعة برنامج شريط تسجيل وضحت الرؤية.. مجموعة المكالمات التليفونية وبعدها الرسائل اللي انهالت على مبنى التليفزيون تسأل عن مين المغني الضرير اللي ظهر في البرنامج أكدت للمغنيين أن المسألة أكبر كتير من دماغ السادة كتاب التقارير السرية اللي كان رأيهم إننا شوية حشاشين جعانين وموتورين ونازلين شتيمة في الحكومة

عمال على بطال، وإن مافيش لا فن ولا يحزنون، وإذا كان الأستاذ هيكل قال في اجتماع مجلس الأمن القومي – بعد كده –:

– هذه صرخة جوع، وسوف نقتلهما بالتخمة.

فالأستاذ سليمان جميل – حامي حمى الفن – قال على صفحات الأهرام الغراء في مقال بعنوان – المثقفون والشيخ إمام – إن الجماعة دول قاعدين يحششوا، ومن خلال الدخان الأزرق بيقولوا الكلام الفارغ ده!!

وتساءل بمرارة.. أين أجهزة الاتحاد الاشتراكي وأين أجهزة أمن الدولة!!

.. المهم.. انفتحت علينا شبابيك الدنيا الواسعة.. ونجح بعض الصحفيين في الوصول إلى مجاهل حوش آدم عيانًا بياناً وفي وضح النهار.. بعضهم جه للرصد والنشر والبعض الآخر جه للفرجة والدهشة.. والبعض جه لكتابة التقارير.

وارتفع معدل الدعوات الخارجية بصورة مذهلة – فبقى اللي ييجي بدري هو اللي يفوز بينا.. واتفرج يا فؤاد يابن هانم وشوف الدنيا واغرق يا شيخ إمام في اللحوم والأسماك والطيور اللي كنت بتسمع عنها في الحواديت..

* * *

الفاجومي (29)

.. وكلمـــا جـــاءوا

للفرجـــة علـيـنـــا

تفرجت أنا عليهـــم!

قبل ما نخش في المعمعة الإعلامية عايز أقول إن الصديقين فهمي حسين ومحمد حجي وبمبادرة شخصية سبقوا العاصفة وزارونا في حوش آدم عشان يكتبوا عننا مقالة في مجلة صباح الخير تحت عنوان "الحارة المصرية تغني لجيفارا".

يومها استمتعت برسومات حجي الجميلة.. رسم المكان بما فيه ومن فيه.

كان موجود فؤاد قاعود ومحمد علي ومحمود اللبان والشيخ إمام وأنا.. وحسب رغبة حجي فضلت أنا للآخر.. ولما قعدت قدامه عشان يرسمني ماركزتش زي عوايدي.. فقال لي:

– يا ابني اهمد شوية خليني أعرف أرسمك.. دنا بارسمك بتحيز.

وكتب الأستاذ فهمي حسين عن المكان العجيب اللي طلع من أحشائه الصوت اللي غنى في رثاء جيفارا العظيم ولما استعرض سكان المكان قال عن شخصي الضعيف – ومنهم الشاعر أحمد فؤاد نجم غزير الإنتاج الجيد قليل الحظ مع هذا في فرص الذيوع والانتشار – أنا بس حبيت أسجل الوقعة دي عشان كل واحد ياخد حقه.

نرجع لموال المعمعة الإعلامية والشهرة اللي هبطت علينا في أعقاب الزيارة الميمونة اللي كرمنا بيها الأستاذ رجاء النقاش وصحبته.

أصوات مختلطة صدرت عن كل قنوات الإعلام المرئي والمسموع والمقروء والرادار والأشعة فوق البنفسجية.

كله بيتكلم عن الظاهرة الشيطانية اللي برزت فجأة من تحت أنقاض بيت متهالك في حارة حوش آدم يحمل رقم 2.

ناس كانت مع.. ناس كانت ضد ومحسوبك آخر استهبال راسم العبط وعمال أتفرج على دول ودول.

كل رموز الثقافة والفن والإعلام تقريباً.. يا إما جم يتفرجوا علينا في حوش آدم يا إما سحبونا على أرضهم في السهرات الخاصة وكله كان بيتفرج وهو مدهوش وعشان كده ما حدش فيهم خد باله مني وأنا باتفرج عليهم!

لكن على أي حال الأمر ما سلمش من مكاسب شخصية عظيمة للعبد الفقير مثلاً..

بعد حفلة نقابة الصحفيين الأولى قال لي الأستاذ رجاء النقاش:

– دا محمود حسن إسماعيل معجب بيك جداً وعايز يشوفك.

أنا ما صدقتش وداني.. قلت له:

– محمود حسن إسماعيل مين؟

قال لي:

– الشاعر.

وبدأت أكلم نفسي:

– محمود حسن إسماعيل معجب بي أنا؟ يا خرابي يا أمه.. شاعر النهر الخالد العظيم اللي كنت مجرد ما أسمع اسمه بدني يتلبش وأحس كأني واقف قدام مقصورة سيدنا الحسين طالب الصفح والرضا!

أنا صحيح عمري ما شفته ولا حتى في الصورة لأنه ما كانش من نجوم الإعلام لكن أنا رسمت له صورة في خيالي.. فارس ملثم وممتطي صهوة حصان عربي من نسل الأدهم حصان عنتر العبسي فارس الفرسان وقاهر الشجعان وكانت الصورة دي بتبقى قدام عنيا كل ما أسمع عبد الوهاب يغني له:

نحن شعب عربي واحد
ضمه في حومة البعث طريق
الهدى والحق من أعلامه
وإباء الروح
والعهد الوثيق
أذن الفجر على أيامنا
وسرى فوق روابيها الشروق

* * *

قلت لرجاء:

– إنت بتشوفه يا أستاذ رجاء؟

ضحك وقال لي:

– أيوه وهو عايز يشوفك.

قلت له:

– إمتى؟

قال لي:

– زي ما تحب.

قلت له:

– أحب حالاً.. دلوقتي.

قال لي:

– خلاص بكرة نروح له المكتب.

* * *

تاني يوم كنا عنده في المكتب وما حدش يسألني المكتب كان فين؟.. لأني وأنا ماشي مع الأستاذ رجاء ما كنتش شايف السكة.. أنا كنت عمال أرسم في عقل بالي صورة اللقاء.. وفجأة لقيتني وجهاً لوجه مع شاعر النهر الخالد.

ما أقدرش أقول إن صورة الواقع كانت مطابقة لصورة الخيال.. في الخيال كان ملثم فما شفتش ملامحه وكان راكب حصان فما قستش طوله وعرضه لكن هنا في المكتب كان إنسان عادي شعره الكثيف المجعد الأبيض كان نايم على ورا ووشه النحاسي الممصوص كأنه

تمثال فرعوني اندفن في طمي النيل وطلع اتحمص تحت شمس أسوان الملتهبة.. أول ما بصيت في وشه افتكرت:

على صهد الأرض السمرا
وأنا أبوي النيل سواني
ممصوص وخشن من برا
زي الطينة الأسواني
والخضره في جلبي وجلبي
دايماً على طرف لساني

* * *

فقت من سرحاني لقيتني في حضنه وهو بيردد جملة لسه مش فاهمها لغاية دلوقتي.. كان بيقول:

– هذا شاعر يا أستاذ رجاء.. ناشدتك الله هذا شاعر.. كررها أكثر من مرة وأنا واقف زي الجحش مش فاهم حاجة.. لكن صورة اللقاء ده فضلت محفورة على صفحة قلبي.. وجرى ما جرى ودخلت المعتقل وخرجت منه ودخلت تاني وخرجت ثالث ودخلت رابع وهكذا إلى أن جاني خبر موت الشاعر الفارس محمود حسن إسماعيل في الغربة.. مات في الكويت يا ولداه! ما تعرفش كان هناك في شيخوخته بيعمل إيه؟ بيحسن دخله ولا هربان من الجحود والتجاهل والقفهر اللي شافه هنا.. هنا في مصر وعلى شط النهر اللي غناه وغنى له..

الغريب في أمر محمود حسن إسماعيل إنه عاش في وطنه غربة العصافير وهاجر منه هجرة العصافير وفي المهجر مات موتة العصافير.

انقطع التيار الكهربائي فجأة واتعطل جهاز التكييف.. وفرفر عصفور النيل الأخضر ومات.. مات عطشان في الصحرا!!

* * *

ما تقولشي هو دمل وانفقع! يا سبحان الله.. كان فيه دا كله؟ هي مجرد إشارة وصدرت عن أبصر مين.. ودول قالوا:

– خد عندك.

مطر مقالات ودراسات وريبورتاجات صحفية نزل يرخ يرخ على قرعة بنت أخت القراء العرب: بخصوص الثنائي اللي ظهر فجأة في حوش آدم. ناس قالوا علينا ظاهرة، وناس قالوا لا دا الرد الشعبي على الهزيمة العسكرية، وناس سمونا "الإرهاصة" وناس سمونا "المخاض" دا الكلام دا هنا في مصر.. خد عندك بقى في الوطن العربي السعيد في تونس والمغرب كان اسمنا – الشجب التحتي! – وفي سوريا ولبنان كان اسمنا – صوت نقمة الجماهير – أما في الشقيق العراق "ودا اللي كان عاجب الشيخ إمام جداً" فكان اسمنا زمجرة الغضب الآتي.

لأ ومين بقى اللي كتب؟ مثلاً مثلاً.. الدكتور فؤاد زكريا رئيس تحرير مجلة الفكر المعاصر – آنذاك – والأستاذ محمود أمين العالم

رئيس مجلس إدارة دار أخبار اليوم – آنذاك برضه – والدكتور حسن حنفي والدكتور لويس عوض والأستاذ كامل زهيري نقيب الصحفيين والأستاذ عبد الرحمن الخميسي والأستاذ محمود السعدني والأستاذ جلال السيد والأستاذ محمد تبارك وكله تقريباً كان.. آنذاك!

.. الوحيد اللي ماكانش – آنذاك – هو الفلاح الفصيح عمدة مصطبة الكلام وعم المتكلمين وبر الأمان لأي فلاح فصيح شايف وخايف وعايز يفضفض بالكلام يقوم يروح يرمي حموله على كتاف شيال الحمول وقطب الرجال، عبد الفتاح الجمل، فلاح النيل الفصيح.

.. الراجل ده ما انجرش ف الزفة الأولانية.. فضل ساكت لحد ما المراكب اتحرقت وكشروا لنا عن أنيابهم ولفقوا لنا قضية المخدرات. راح كاتب عمود في جريدة المساء اللي كان هو رئيس تحريرها بيشد على إيدينا ويقول لنا أنا معاكم ومعايا كل ولاد مصر الطيبين وبيقول في نهاية العمود – يا عمنا الشيخ إمام ويا فتى الفتيان نجم أشد على أيديكما وأحيى فيكما العناد.

تصدق بإيه إن العمود ده ونسني – آنذاك – وكأنه كتيبة صواريخ بتحمينا.. نرجع بقى للزفة الأولانية.

آنذاك كانت مجلة الكواكب في مقدمة الموكب وحصلت على سبق صحفي عبارة عن حفل ساهر حتنظمه في نقابة الصحفيين للثنائي اللي ملا الدنيا وشغل الناس مع الاعتذار الشديد لعمنا المتنبي.. وفعلاً

اتحدد موعد الحفلة وكانت الدعوة عامة كمان قررت مجلة الكواكب إقامة معرض لتماثيل الفنان التلقائي محمود اللبان بمبنى دار الهلال.

وحكاية تلقائية محمود اللبان بدأت بعد محمد جاد ما رجله خدت ع الحتة ويومياً عامل السكة قياسة، ورايح جاي ع الخط زي ترماي المدبح وذات مرة شاف محمود اللبان بيعمل لنا منقد لزوم القعدة.. كان يجيب صفيحة السمنة التلاتة كيلو ويقصها نصين ياخد النص ويجيب كوز سلمون مفتوح من الناحيتين ويركبه فوق ويثبته بالجبس يقوم يبقى مدخنة ويكسيها جبس م الجنبين فتبقى شبيهة بالضريح أبو مادنه ويفتح لها هوّاية من تحت تجبد الهوا على فوق يخلي الفحم آخر صهللة! قوم أنت يا عم محمد يا جاد انسطل وافضل برق في المنقد حبتين وروح صارخ في وش محمود اللبان لبش جتته أكثر ما هي متلبشة:

– إيه ده؟ دا فن تشكيلي!.. يخرب بيت أبوك يا محمود يا ابن الكلب..

وقبل محمود ما يستوعب الصدمة كان محمد جاد ضارب إيده في جيب السويتر الجلد البني ومطلع جنيه – يدبح الفرخة – أيام ما كان الجنيه جنيه – وقال له:

– الصبح تعمل لي واحد زي ده..

* * *

الفاجومي (30)

50 جنيـــــه
عـربون صداقــة
مـن الحكومـــة!

محمود اللبان فضل يبرّق في وش محمد جاد بنوع من التوجس لأن محمود أساساً ما يخافش في حياته إلاَّ من حاجتين.. العسكري والمجنون!

وصرخ محمد جاد تاني في وش محمود المرعوب:

- أنت بتبرّق لي كده ليه؟ أنت مش مصدق إنك فنان تلقائي؟

وافتعل محمود ضحكة يطمن بيها نفسه وبص للي قاعدين وقال:

- يا جدعان حوشوا الجدع ده عني.. دا ابن كلب صحيح.. أنت جاي تخرم دماغنا على آخر الزمن.. فنان إيه ونيلة إيه؟.. قال بعد ما شاب ودوه الكُتاب.. يلعن أموات أمك..

وبرّق محمد جاد في وش محمود اللبان وصرخ:

- أنت حمار.. شاب إيه وكتاب إيه؟.. أنت عارف نجيب محفوظ نشر وهو عنده كام سنة؟. أربعين سنة يا حمار.. وعارف موزارت كتب أول كونشرتو وهو عنده كام سنة؟ تسع سنين يا طور.. وأنت قاعد لي هنا تبيع لبن زبادي؟!

وراح رامي له الجنيه في حجره وقال له:

- أمسك.. الصبح آجي ألاقيك عامل لي واحد زي ده..

ودي كانت نهاية معمل الألبان البدائي.. تعلق المعلم محمود حسين عاشور الشهير فيما بعد بالفنان التلقائي محمود اللبان اللي اعترفت الأوساط الفنية في مصر والوطن العربي بأصالة موهبته واتعاملت معاه الدولة على أساس أنه فنان متفرغ لعدة سنوات أقام خلالها مجموعة المعارض الفنية الناجحة جداً في أرقى صالات العرض بالقاهرة والأقاليم.

نيجي بقى لقنوات الإعلام المسموعة والمرئية..

أولاً إذاعة الشعب كان رئيسها آنذاك الفنان فاروق خورشيد بدأوا يذيعوا أغانينا بشكل مكثف لدرجة إني سمعت "جيفارا مات" وأنا ماشي في الزمالك! وكلفونا نعمل لهم شغل خاص وبالإذاعة فقدمنا لهم مجموعة من الشعارات وعملنا تترات لعدة برامج ثابتة زي "محو الأمية" و"غناوي" وكتبت لهم ملحمة شعرية عن غاندي محرر الهند العظيم.

واتحول منزلنا الحقير إلى شبه محل إقامة لمجموعة المذيعين والمخرجين بإذاعة الشعب.. سهير الحارتي وعايدة شكري وعايدة مرسي وعبد الفتاح الصبح وإسماعيل العادلي والمرحوم عبد الرازق قنديل وسمير حسين ومدحت زكي..

كانوا فرحانين بينا قوي وكأنهم لاقيين لقية! معلوم.. مجموعة من الشباب الوطني مجروحين في كرامتهم وبيدوروا على مَخرَج من أزمتهم اللي هي أزمة الوطن المهزوم وبحكم وضعهم في جهاز الإعلام شايفين

الصورة قد إيه كئيبة وسودا.. ليه بقى؟ ما هم بيقروا ويسمعوا كل الصحف والإذاعات الممنوعة على الشعب المصري من دون شعوب العالم.. وكأنه غير معني بالموضوع مع إن الخيبة خيبته والقتيل قتيله والتار دين في رقبته هو، لا غيره ولا سواه.. وجهاز الإعلام المصري اللي هما جزء منه قاعد يقول مافيش هزيمة ولا حاجة.. دي مجرد إشاعة لأن العدو الصهيوني الإمبريالي كان قصده يهزم الإرادة ويغير القيادة اللي هي الرئيس عبد الناصر والحمد لله أهو قاعد.. تبقى فين الهزيمة بقى؟!

وفجأتن يلاقو اتنين أنيميا طالعين من شق في قلب حارة بيقولوا كلام مختلف ويحطو النقط ع الحروف بجرأة وصفها الدكتور لويس عوض لما قال:

– نجم ده شجاع شجاعة مريبة.

بيتهيألي والله أعلم إن ده كان مصدر دهشتهم وفرحهم بينا إحنا بقى أو أنا بالتحديد كان فرحي بيهم أشد.. ليه بقى؟

أنا حسبتها مظبوط.. إزاي؟ أنا ح أقولك.

إحنا دخلنا شمال في دولة ومش أي دولة.. دي دولة بوليسية عسكرية لها تراث متراكم من انتهاكات حقوق الإنسان ومشهود لها بطول الباع في البطش بالمعارضين وسجلها حافل بجرائم التعذيب الوحشية وضحاياها ما ينعدوش ابتداء بفرج الله الحلو اللي دوبوه في

الأسيد وانتهاء بسيد قطب عالم الأدب اللي أعدموه عقاباً على اختلافه معاهم في الرأي من خلال كتاباته.. يعني لا تجمهر ولا جاهر بالصياح!

طب إحنا هنروح فين في دول؟ دا إحنا على رأي المثل: يا جحا عد غنمك قال واحدة مكسحة وواحدة عميا.. يبقى إحنا ضايعين ضايعين تراجع ماعدش ينفع.. طب والحل؟ الحل لقيته عند يوسف إدريس في روايته العبقرية (البيضا).. البطل عنده بيهرب في الناس.. في الزحمة.. يبقى إحنا محتاجين زحمة.. ونس يعني.. وهما دول الونس..

* * *

ذات صباحٍ جميل دخل علينا شاب أنيق ولابس نضارة طبية وعرفنا بنفسه:

– أحمد الجبيلي.. مخرج بصوت العرب.

– أهلاً وسهلاً..

إنسان مهذب جداً وشديد التواضع.. حاجة كده زي اللي بييجي في الكلمات المتقاطعة يقولك: خمسة أفقي "خجول" من تلات حروف فيطلع حيي.. قعد الراجل سمع وأبدى إعجابه بأسلوب مهذب جداً وبعدين قال:

– أنا جاي من طرف الأستاذ عروق مدير صوت العرب.

قلت له:

- أهلاً وسهلاً وإزي الأستاذ عروق؟

قال لي:

- بخير الحمد لله وبيسلم عليكو جداً وعايز يقابلكو.

واندفع الشيخ إمام وقال له:

- إحنا ما بنقابلشي الأشكال دي.

قلت له:

- لأ يا إمام.. الأستاذ عروق راجل شريف.

قال لي:

- ولما هو شريف بيشتغل معاهم ليه؟

قلت له:

- الراجل جالك لحد عندك والمثل بيقول من جاك دارك جاب الحق عليك.. وقلت للأستاذ الجبيلي:

- إحنا تحت أمر الأستاذ عروق ويتفضل يشرفنا في أي وقت..

قال لي:

- دا هو منتظركم في مكتبه في الوقت اللي تحددوه.

قلت له:

- ليكن بكره صباحاً بس لازم حد ييجي ياخدنا عشان الأمن بيمنعنا.

تاني يوم الصبح جالنا الأستاذ أحمد الجبيلي ودخلنا إلى مكتب الأستاذ عروق في التليفزيون.. وإحنا داخلين من الباب قلت للشيخ إمام:

- صبّح ع الأمن يا إمه.

راح قايل بعلو صوته:

- صباحو خرا..

وفي مكتب الأستاذ عروق لقينا الأستاذ رجاء النقاش!.. الراجل استقبلنا بحرارة وقال لنا:

- إحنا عايزين نتعاون سوا وصوت العرب مفتوح لكل صوت شريف.. وكتب لنا كل واحد شيك بخمسين جنيه وقال لنا بأدب شديد:

- دول هدية من صوت العرب.

خدنا الشيكين ونزلنا مع الأستاذ رجاء اللي اقترح إن إحنا نقدم برنامج يومي طوال شهر رمضان من صوت العرب اسمه – مع إلحان الشيخ إمام – ويقوم بتقديمه الأستاذ رجاء شخصياً..

قلت له:

- بس أنا عندي شرط.

قال لي:

- اتفضل..

قلت له:

– تاخدوا العمل على بعضه أو تسيبوه على بعضه.. يعني مفيش حذف ولا إضافة.

الراجل وافق وبدأنا نستعد للتسجيل ولحفلة نقابة الصحفيين.

كان حسن الموجي خلع بعد فؤاد قاعود نتيجة الصراع بينه وبين محمد علي وعلى وظيفة الإيقاع، والكلام دا أنا عرفته من حسن الموجي لما رحت أجيبه عشان يحضر معانا الحفلة والتسجيل، والغريب في الأمر إن الشيخ إمام – عالم الموسيقى – كان بيزكي محمد علي اللي مالوش أي علاقة بالموسيقى على حسن الموجي عازف الإيقاع المبدع اللي لا يقل بأي حال عن مستوى أكبر المحترفين!!

المهم.. رحت لحسن وبعد محايلة وطبطبة أقنعته وفتنا على فؤاد قاعود في البيت وقلت رأيي اللي اتلخص في إن الشجرة أثمرت وإن كل من ساهم في الزراعة والري أصبح من حقه يجني ثمرة والري أصبح من حقه يجني ثمرة مساهمته وإن إحنا في النهاية أصدقاء ومافيش بيننا أي تناقض ولازم نبقى في الصورة جنب بعض وقمنا من عند فؤاد ع الغورية لقينا الشيخ إمام ومحمد علي مش هناك وأثناء ما إحنا قاعدين سألني فؤاد قاعود:

– تفتكر رجاء النقاش حيوافق على وجودنا سوا؟

فقلت له بذهول:

– وإيه دخل رجاء النقاش في كده؟

ضحك وقال لي:

- مش هو قائد المسيرة..

قلت له:

- أنت عارف يا فؤاد إني ماليش قائد.. وأنت أدرى الناس..

*   *   *

الفاجومي (31)

شاعـر السلطة الذي
حبيتــه وتابعــه
الذي كبيتـــــه

وابتدا القلب البريء الخام يندهش.. ويضنيه البحث عن إجابات للأسئلة الصعبة اللي بدأت تحاصره بإلحاح.. إيه.. فيه إيه؟ الناس بتكذب بمنتهى البساطة ليه؟ كل الناس خايفة من بعضها.. خايفين على إيه؟ والمدهش في الأمر إن اللي أنت خايف منه.. هو نفسه خايف من شخص تاني.. والشخص التاني خايف من شخص تالت.. وهكذا..

مين اللي مخوف الناس دي كلها؟ أكيد شخص قوي جداً وما بيخافشي.. طب تعالى كده نطلعها سلمة سلمة ابتداء من المواطن اللي خايف م المخبر اللي بيخاف م الظابط اللي خايف م المأمور.. حنوصل لأكبر كرسي في القعدة!

أنا لما كلمت رجاء النقاش بخصوص ضرورة تواجد فؤاد قاعود معانا ما اعترضش وطلب مني أجيب فؤاد معايا ونقابله الصبح في مكتبه بدار الهلال.. وقد كان واستقبلنا الراجل بترحاب وشربنا القهوة عنده وبعدين قال لي:

– سيبنا لوحدنا شوية.

فأنا قلت لفؤاد:

– أنا منتظرك في الغورية.

وخرجت فرحان ورحت بشرت الشيخ إمام بعودة لم الشمل زي زمان ففوجئت بعدم حماسه قلت له:

– أنت مش فرحان ليه؟

قال لي:

– يا أخي بطَّل الهبل دا بقى.. بقى بعد اللي اتعمل فيك دا كله.. حترجع تاني لعنب ديبه..

قلت له:

– يا سيدي أنا مسامح.

قال لي:

– بس أنما مش مسامح.

قلت له:

– في إيه؟

قال لي:

– في العشرة جنيه اللي سرقوها مني في القطر.

ضحكت وقلت له:

– بقى أنا بأقولك حاول تتصور منظرنا واحنا كتير ع المسرح تقوللي قطر وترماي..

قال لي:

– لا معلش وإذا كنت بتحبني بلاش الموضوع ده.

قلت له:

– طب وحسن الموجي؟

قال لي:

– حسن الموجي بيجي بس ما يتفلسفش عليَّ.

وقررت إني أتفاهم مع فؤاد ونتفق على حل للموضوع ده لكن فؤاد ماجاش.. اختفى تاني.. إيه اللي دار بينه وبين رجاء النقاش؟ الله أعلم!! عموماً لتنين على قيد الحياة ربنا يطول عمرهم.. يمكن ييجي يوم ويقولوا.. قول يا رب..

وصلتني رسالة من صلاح جاهين بيقول فيها أنا سعيد جداً بنجاحاتك وبيقول في نهايتها أتعشم أن تزورني في منزلي المتواضع بالزمالك!

الرسالة دي جابها لي جمال الموجي ما أعرفش إزاي اختفت ما أعرفش إزاي برضه!

أنا عمري ما باحتفظ بحاجة لكن الرسالة دي بالذات كنت عايز أحتفظ بيها لأن صلاح جاهين بيني وبينه حاجة مش مفهومة. مش مجرد حب.. طب ما أنا باحب الدكتور حسين فوزي ومرة أهداني كتابه العظيم – سندباد المصري – وكتب لي: "إلى شاعرنا القومي من معجب بلا تحفظات" وباحب يوسف إدريس بلدياتي ابن الشرقية العبقري ومرة أهداني واحد من كتبه وكتب لي: "إلى الفارس الذي تمنيت أن

أكونـه" والكتـابين دول بالإهـدائين اللـي علـيهم ضـاعوا.. زي أي شـيء عندي ممكن يضيع.. أيوه زعلت عليهم شوية لكن خلاص.. آدي الله وآدي حكمته.. إلا رسالة صلاح جاهين زعلان عليها إلى وقتنا هذا.. ما تعرفش إيه اللي بيني وبين الراجل ده.. إحنا مش كلنا على خلاف وبس.. لا دانا دمي في رقبته لأنه هو كان في السلطة وأنا معتقل بتهمة تأليف الشعر وما فتحش بقه.. لكن باحبه والمثل بيقول حبيبك يبلع لك الزلط.. وأنا بصراحة مش عارف باحب فيه إيه؟ شاعر.. طب ما الشعرا ماليين الأرض.. فيه واد شاعر المفروض إنه صعيدي لأن الصعايدة جدعان بس دا مش جدع.. الواد ده في أسبوع ما اعتقلوني سنة 1969 طالع مع السفاح شعراوي جمعة في التليفزيون رداً على الحملة الإعلامية المثارة في الصحافة العربية والأوروبية بتندد باعتقالي وتطالب بالإفراج عني شعراوي يقول له:

– آل إحنا بنعتقل الشعراء؟

فيرد هو:

– كيف يا فندم؟ طب ما أنا جاعد مع سيادتك أهه وطالعين في التليفزيون سوا.

فيقول له مثلاً:

– وإيه آخر إبداعاتك يا..

فيقول له:

– جصيدة لاذعة يافندم بافضح فيها جشع أصحاب المخابز وبتوع الدجيج.

يقول له:

– شفت الديمقراطية؟

يقول له:

– شفت يافندم.

يقول له:

– قول لهم بقى..

يروح قايل لهم!!

وهو كان صديقًا لصديقي وزميل اعتقالي أحمد الخميسي ولما خرج أحمد وسابني في المعتقل قابل الواد وقال له من باب العتب:

– أنت بتهاجم نجم ليه وهو في المعتقل؟

قال له:

– أصله بيكتب شعر وحش.

قال له:

– يعني أفهم من كده إن الحكومة حابساه عشان شعره وحش؟

.. وغيره وغيره.. فؤاد حداد ما هو أشهر من نار على علم.. أحبه وأحترمه وأتحامى فيه وأقول لشعراء الفصحى بالفم المليان:

– إنتو عندكم المتنبي ومحمود درويش وإحنا عندنا فؤاد حداد.

فيه بعد كده حب؟ لكن صلاح جاهين كان مربي لي خبل في دماغي وجايب لي بعيد عنك مرض الانفصام الشخصي.. كنا بنبقى في المعتقل وأهاجم كل شعراء السلطة وآجي عنده.. ما أقدرش! آخر مرة رجع فيها من أمريكا بعد جراحة ناجحة في الشريان التاجي وبعد ما قرينا الخبر في "الأهرام" قال واحد من الطلبة المعتقلين:

- هو مش عايز يموت ليه؟

الكلمة وجعتني.. بصيت له وقمت..

دخلت زنزانتي وكتبت:

حمد الله ع السلامة

وسلامتك يا جميل

يا ريته كان في قلبي

شريانك العليل

نفسي أكتب لك قصيدة

زيك

مالهاش مثيل..

....

بعد ما كتبت القصيدة ندهت على الطالب صاحب الكلمة اللي وجعتني وقريتها له.. فوجئت بدموعه نازلة وراح واخدني بالحضن وقال لي:

- أنا آسف يابو النجوم..

* * *

الفاجومي (32)

.. وعلى أرض الصحفيين سـجلنا هدفـــًا في مرمــى الحكومـــة

اللـي حصـل فـي حفلـة نقابـة الصـحفيين شـيء مـا ينحكـيش ولا يتوصفش.. أنا طول عمري أقرا عبارة معينة وما أفهمهاش.

يقولك المطرب الفلاني أو الملحن العلانـي أو الممثل الترتاني قال بيبقى خايف وجتته بعيد عن السامعين والحاضرين بتبقى متلبشة وبيبقى راكبه ستين عفريت قبل ما يقدم عمل جديد للامؤاخذة جمهوره!

كلهـم بيقولـوا الحكايـة دي مـن بـاب العياقـة عشـان مؤاخـذة السـت المذيعة تمصمص شفايفها وتلعب حواجبها من حيل الدهشة وتقول:

– الله (ولازم اللام بتاعة لفظ الجلالة تبقى رفع الفتلة وكذلك الطاء والصـاد وكل حـروف التفخيم والتضـخيم فـي لغتنـا الجميلـة فتنطـق كـده) تبعـاً تبعاً هو دا الفنـان الأسـيل.. دائمـاً مُتَتَيِّـر وخـايف إنـه لا كـدر الله العمل بتاعه يسأت.

أنـا مش فاهم بيقولوا كده ليه؟!.. طـب دا انـت حتقابل ناسك اللـي بتحبهم ويحبوك.. فيه حد يخاف من لقا الأحبة؟!

* * *

أنا من ساعة ما خرجنا من حوش آدم لغاية ما وصلنا مبنى نقابـة الصـحفيين وأنـا ريقـى ناشـف مـن الخـوف.. هـو إحنـا رايحـين نصـطاد سمك؟ دا إحنا رايحين نواجه الدولة بكل جبروتها وعلى ملعبها!

إحنا مجرد ما وصلنا باب مبنى النقابة مسكت الشيخ إمام من إيده وشديته (لأول وآخر مرة) بعنف عشان نستخبى في الزحام الرهيب اللي كان بادي من الباب البراني ومنتهي على المنصة اللي ح نقعد عليها ونغني.. حسيت بالدفا والأمان والقوة والعزم الشديد.. الناس حلوة قوي يا جدع.. إيه الجمال دا كله؟ غابة حقيقية من الزنود والسواعد السمرا مرفوعة حوالينا وكأنها بتحمينا وابتسامات صافية وفرحة في العيون محاوطانا من كل جانب.. إيه بقى اللي ممكن يخوفنا؟ نقلت الإحساس ده للشيخ إمام باللمس – لغتنا المشتركة دايماً لما بنبقى في وسط الناس – لقيته انفرد زي الوتر المشدود وبقى ماشي جنبي زي عود الزان السمهري لحد ما طلعنا المنصة بعد مجهود مضني بسبب الزحام في القاعة.. وبعدها كل شيء اتبدد مع الخوف حتى البرنامج اللي كان موضبه الأستاذ رجاء النقاش بالنسبة للأغاني اللي حنقدمها ماقدرتش ألتزم بيه واتحولت المسألة إلى ما يطلبه المستمعون وكله خارج البرنامج حتى الطفلة الجميلة لميس رجاء النقاش اللي كان عمرها أقل من سنتين طلبت "بقرة حاحا" اللي كانت خارج البرنامج فقلناها..

المهم.. خلصت الحفلة بهدف صاروخي سجلناه في مرمى الحكومة بكل مؤسساتها الثقافية والإعلامية دون خسائر من جانبنا اللهم إلاَّ إصابتين الأولى مست علاقتي بالأستاذ رجاء النقاش اللي أعتقد إني خدعته لما خرجت على البرنامج أمام إلحاح ما يطلبه المستمعون.

والتانيـة أنهـت علاقتنـا الفنيـة بحسن الموجي نهائياً بعد ما عمل حاجـة غريبة جداً وغبية جداً.

* * *

أنا قلت قبل كده إن إمام ومحمد علي كانوا كارفين حسن الموجي وأنــا كنــت مصــمم علــى وجـوده لمصــلحة الشــغل.. يـوم حفلــة نقابــة الصـحفيين الصـبح رحـت جبتـه مـن الشـغل بالمحايلـة ورحنـا الغوريـة اصـطبحنا وفهمت إمـام إن حسـن حيكـون معانـا فـي الحفلـة فقبـل علـى مضـض.. لكن كـان فيـه مشكلة وهـي عدم وجود رق لحسـن.. قلت لـه علـى رق جمـال الموجي فرفض.. قلت لإمـام يستقضـى لنـا رق مـن حد قال لي: "ما أعرفش".. خدت حسن ونزلنا على شارع محمد علي أجرنا رق بـاتنين جنيـه في اليوم وسبت بطـاقتي الشخصية رهن عند الراجل.. بعد الحفلـة أدوَّر علـى حسن الموجي فـي سلقط فـي ملقط.. فص ملـح وداب..

تـاني يـوم رحـت لـه الشـغل وسـألته عـن سـبب اختفائـه قـال لـي: "روَّحـت.. كنـت تعبـان وروَّحـت".. سـألته عـن الـرق قـال لـي: "سـبته ع المنصة بعد الحفلة" قلت له:

– معقول ده يا حسن!

قال لي:

– اللي حصل!!

رحت لوحدى على شارع محمد علي وفهمت الراجل أن الرق انسرق وأنا مستعد أدفع تمنه وآخد البطاقة قال لي:

– عشرين جنيه..

دورت في جيوبي ما لقيتش غير ستاشر جنيه الراجل عدهم وقال لي:

– إيه دول؟

قلت له:

– دول كل اللي معايا..

راح مفاجئني بقلمين سخنين طيروا الشرار من عنيا وقال لي:

– دول بقى يفوقوك ويبردوا ناري.

وراح رامي لي البطاقة ع الرصيف خدتها وطلعت أجري وأنا عمال أقول:

– الله يخرب بيتك يا حسن يا موجي.. الله يخرب بيوتكو يا ولاد الكلب كلكو.

* * *

أكتر من مرة الشيخ إمام يقوللي:

– دا فيه جماعة حبايبنا عايزين يشوفوك.

وبعدين يطنش.. إلى أن كان يوم ساعة صبحية وكنت قاعد لوحدي وكان إمام ومحمد نايمين.. سمعت صوت بينده من تحت:

– يا شيخ إمام.. يا أستاذ نجم.. يا أهل الله ياللي فوق.

قلت له اتفضل.. شوية ودخل عليَّ راجل مكفوف، وعرفني بنفسه:

– أخوك محمد عبيد.. اللي أنت مستكبر تيجي بيته..

قلت له:

– ليه بتقول كده؟

قال لي:

– هو الشيخ إمام مش بلغك؟

قلت له:

– جايز نسي.

قال لي:

– نسي ميت مرة؟ والله لما يصحى لأملص ودانه.. عملت الشاي وقعدنا نشرب وندردش لقيت نفسي أمام إنسان ذكي دمه خفيف وضارب الدنيا صرمة عن معرفة.. قال لي:

– إحنا يا سيدي كل يوم اتنين بالليل بيتلموا إخوانا المكفوفين عندي في البيت ونسهر صباحي وكلهم عايزين يشوفوك.

قلت له:

– طب إزاي؟

ضحك وقال لي:

– إنها لا تعمى الأبصار..

قلت له:

– صدق الله العظيم.

ويوم لتتين حطيت باطي في باط الشيخ إمام وخدناها دألجة لحارة الروم..

* * *

بيت محمد عبيد "الندوة" ستاشر مكفوف بما فيهم محمد عبيد ومراته أم تهاني – مكفوفة – فضلت أنا وتهاني اللي بتشوف طشاش.. إحنا المبصرين اللي في الهلمة دي.. كانت ليلة ممتعة فيهم حوالي سبعة بيعزفوا عود بشكل يخبل.. وكلهم بيغنوا وكلهم بيقفشوا وينكتوا وكلهم بيشتغلوا في القعدة.. اللي ماسك إدارة نار واللي بيعسل واللي بيعمل الشاي.. واحد فيهم بيدي باجور الجاز إبرة ومحمد عبيد صاحب البيت خد عجلة "سعد لاخرس" ونزل الغورية جاب طلبات ورجع زي الجن.. ومحمد عبيده ده نوادره ما تتعدش..

كان مرة خارج هو والشيخ إمام من حارة الروم قابلهم كمين في باب الغورية سألهم الظابط:

– رايح فين يا راجل أنت وهو؟

قال له:

– هو إحنا شايفين؟

قال له:

– معاكو حشيش؟

قال له:

– معاك أنت؟

طلع الظابط دمه خفيف وضحك وادالـه حتة تيجي ربع قرش.. مسكها محمد عبيد وحطها على ودنه شوية وقال للظابط:

– دا حشيش حكومة.

قال له:

– إيش عرفك؟

قال له:

– شميته..

قال له:

– إنت بتشم من ودنك؟

قال له:

– وبشوف بقلبي.

.. المهم.. حوالي الساعة تلاتة صباحاً قالوا عايزين نسمع تهاني بقى.. تهاني دي اللي أنا قلت لك بتشوف طشاش.. غني يا تهاني.. وبدأت تهاني تغني.

صوت هامس لازم تطرطق ودانك عشان تسمعه، ومجرد ما يدخل ودانك تضيع واسأل علاء الديب اللي انهطل من صوت تهاني وبقى ماشي يغني على روحه.. "يا صجرة ضلك عجبني".

وبعد كده اتحولت القعدة من حوش آدم النص راح على حارة الروم في حضن صوت تهاني والنص التاني راح على محمد حجازي الأخ الأصغر للشاعر الكبير أحمد عبد المعطي حجازي وبالمناسبة محمد حجازي كانت ودنه ألماظ وصوته شديد العذوبة وكان دايماً لما غزالته تروق يغني لنا أصعب ألحان الشيخ إمام:

قيدوا شمعة يا أحبه ونورولي

رمشتين من رمش عين

وبيندهولي

من هنا سكة ملامة

من هنا سكة ندامة

سكتين ياللا السلامة

أمشي فين

يا ناس قولولي؟

* * *

الفاجومي (33)

دوخيـــــنـــي

يا لمـــونـــه

بانتهاء شهر رمضان سنة 1968 انتهى برنامج مع ألحان الشيخ إمام اللي كان بيذاع من صوت العرب بتقديم الأستاذ رجاء النقاش وانتهى معاه أيضاً شهر العسل مع الحكومة بعد ما اتضحت النوايا وبقى اللعب ع المكشوف.

سلسلة من الأحداث والوقائع عملت تراكم وكان لابد من حدوث الاصطدام.

أولاً فوجئت بعملية تشويه متعمدة أثناء إذاعة البرنامج من صوت العرب أحياناً كانوا يذيعوا جزء من نُص الأغنية وأحياناً كانوا يذيعوا الجزء الأخير من الأغنية ودا كان مخالف لاتفاقي مع الأستاذ رجاء – يا تاخدو العمل على بعضه.. يا تتركوه على بعضه – ولما سألت الأستاذ رجاء قال لي ماليش دعوة.. روح اسأل صوت العرب.

واقعة تانية كانت شديدة الغرابة ولسه لغاية وقتنا هذا مندهش لها.

إحنا كنا تقريباً بنحيي حفلة كل ليلة وذات صباح جالنا واحد من طرف الأستاذ رجاء وقال لنا:

– ما ترتبطوش الليلادي.

– ليه يا سيدي؟

قال لك:

- الأستاذ رجاء عامل حفلة لعائلات العاملين في دار الهلال.

- حاضر.

وبالليل رحنا دار الهلال نزلونا في بدروم لقينا حوالي خمسين مرا بملاية لف وكل مرة معاها على الأقل تلات عيال بيصرخوا أحاول في الميكرفون أتكلم معاهم ودول أبداً وبعد حوالي ساعة من الصريخ والمحايلة لمحت الأستاذ رجاء واقف على باب البدروم ومبتسم رحت له أشتكي له وفوجئت بيه بيقول لي:

- إنت مش فنان شعبي.. سكتهم لو تقدر.

وضحك ضحكة غريبة.. بذلت مجهود خرافي عشان أمنع نفسي من القيء في وش الأستاذ رجاء ونجحت - مع الأسف.

* * *

الفنان والإنسان الرقيق المرحوم عباس أحمد - مراقب عام التليفزيون - كان بيقدم برنامج اسمه - حياتنا الثقافية - خدنا الأستاذ رجاء ورحنا سجلنا معاه حلقة مدهشة على مدى ساعة هي مدة البرنامج. وكان موعد إذاعتها السبت القادم ويوم السبت القادم فتح المرحوم عباس أحمد درج مكتبه وطلع الشريط وفي الموعد ركبوه وإذا بالشريط ممسوح!!! ما اعرفش اتصرفوا ازاي وتاني يوم جالنا المرحوم عباس أحمد وهو بيكلم نفسه ومكسوف جداً من اللي حصل.. قلت له

- ولا يهمك يا عبس.. احنا مستعدين نسجل لك أجدع منها.

وقد كان سجلنا له حلقة تانية أذيعت السبت اللي بعده.

في أواخر شهر العسل كنت قبل الغروب عند واحد صديقي في دير الملاك وأثناء عودتي ما أعرفش إيه اللي خلاني حودت على بيت الأستاذ سيد خميس وفوجئت هناك بالشيخ إمام ومحمد علي بيفطروا أو فطروا وبيستعدوا للخروج وغلط محمد علي زي عوايده وقال لي:

- كويس إنك جيت عشان نمشي سوا.

قلت له:

- على فين؟

قال لي:

- على نقابة الصحفيين.. ما هي الحفلة التانية الليلة.

وحسيت بالارتباك اللي انتاب الشيخ إمام وسيد خميس.

سألت الشيخ إمام:

- أنتوا اتفقتوا ع الحفلة دي إمتى؟

قال لي:

- كل واحد حر.

تاني يا إمام؟ أول مرة خليك في حالك ودلوقتي كل واحد حر!

خرجت من بيت سيد خميس مش شايف قدامي.

يا ترى المرة دي بعتني بكام؟ يا صاحبي.

كنت ماشي أهلوس لغاية ما لقيت نفسي في ميدان باب الحديد ولقيت تاكسي فاضي ركبت وقلت له:

- نقابة الصحفيين.

ما أعرفش كان مر قد إيه من الوقت لأني دخلت النقابة وطلعت على قاعة الاحتفالات لقيتها مليانة ولقيت محمد وإمام ع المسرح وإمام بيدوزن العود.. أول ما دخلت القاعة فوجئت بعاصفة من التصفيق الحاد وقفت مطرحي وانحنيت للناس حتى انتهى التصفيق رحت قازح ع المسرح في خطوة واحدة فانفجرت تاني عاصفة من الضحك والتصفيق وسمعت صوت من الصف الأول بيقول:

- دا قرد مسلسل.. مش حيقدروا عليه.

وطيت على ودن إمام وسألته:

- قلتوا إيه؟

قال لي وهو مرتبك:

- لسه.

بابص ع القاعة لقيت فؤاد قاعود قاعد في الصف الخامس! مسكت الميكرفون وقلت:

- فيه شاعر كبير قاعد في القاعة وهو الحقيقة مكانه هنا ع المسرح الأستاذ فؤاد قاعود يتفضل.

الناس سقفوا وطلع فؤاد وبدأ يلقي وجاني واحد من صبيان الأستاذ رجاء النقاش وشوشني:

– الأستاذ رجاء عايزك جوا.

رحت معاه جوّا في مكتب النقيب لقيت الأستاذ أحمد بهاء الدين – ربنا يرحمه – النقيب السابق والأستاذ كامل زهيري النقيب السابق والأستاذ رجاء النقاش اللي سألني:

– مين اللي طلع الجدع ده ع المسرح؟

قلت له:

– أنا.

قال لي:

– ليه؟

قلت له:

– لأنه شاعر.

قال لي:

– دا موقوف تنظيمياً وممنوع م الكتابة.

قلت له:

– المسألة دي لا تعنيني وعموماً إذا كنتم زعلانين آخد الشيخ إمام وننزل.

الأستاذ بهاء قال لي:

- خلاص يا أستاذ نجم ما تشغلش بالك واتفضل روح لجمهورك.

أثناء وجودنا في الاستديو لحضور تسجيل المطرب محمد رشدي لأغنية الغربة دخل علينا المدعو شفيق جلال وتجاهلني تماماً وسلم ع الشيخ إمام وقال له وهو باصص لي:

- ما تسيبك يا عم الشيخ م الكلام الفارغ اللي بتقوله ده وتعالى أوديك للأستاذ عبد الوهاب محمد يأكلك لقمة سمينة.. سمينة قوي وخرج المذكور!!

الغريب في الأمر أنه في نفس اليوم كنا راكبين عربية الأستاذ رجاء النقاش ورايحين نوصل سيد خميس لبيته كنا تلاتة.. الأستاذ رجاء النقاش وسيد خميس وأنا وفي ميدان باب الحديد وبدون مقدمات فوجئت بالأستاذ رجاء النقاش بيقول لي:

- أحب أقول لك.. مفيش وحدة عضوية.. لازم تسيبوا بعض أنت تشوف لك ملحن وهو يشوف له شاعر.

وبعدين وكأنه تذكر قال:

- على فكرة أنا اديت الشيخ إمام خمسين جنيه.. إداك نصيبك؟

قلت له:

- أيوه – وطبعاً دا ما حصلش..

ولما روحت قلت للشيخ إمام:

- رجاء سألني عن الخمسين جنيه اللي إداهم لك وقلت له إنك إديتني نصيبي.

أرتبك شوية وقال لي:

- دا هو قال لي إنه إداك زيهم.

قلت له:

- طبعاً أنت صادق ولعلك تكون فهمت اللي هما عايزينه.. يا إمام إحنا حياتنا في التحامنا ببعض.

قال لي بمنتهى البراءة:

- وهو ده اللي أنا حريص عليه!!!

دوامة مرعبة من الأفكار السودا خدتني دوخيني يا لمونه...

لوحدك بقيت يابن هانم وإن ركنت حتركن على حيطة مايلة.. ياللا أديك عملت اللي في دماغك وحياة النبي ومن نبى النبي نبي لو علقوك في ميدان التحرير زي الدبيحة وخدوا من لحمك كل يوم جرام ما يبقوا خدوا حقهم منك. أنت عايز إيه تاني؟

فقت من أفكاري على صوت بينده من تحت:

- يا شيخ إمام.. يا نجم.

قلت:

- مين؟

قال لي:

- أنا أحمد بهجت.

قلت له:

- اتفضل.

الساعة كانت حداشر صباحاً وما حدش صاحي في البيت غيري وصل أحمد بهجت الباب وقال لي:

- أنا جايب لك معايا شاعر عظيم (ودخل ووراه الساعي بتاعه لابس جلابية حلق كنيف زفير وجزمة كوتش صوابعه طالعة منها) هما دخلوا وأنا فضلت مستني ع الباب.. قال لي:

- ما تيجي.

قلت له:

- فين الشاعر العظيم؟

قال لي:

- ما هو الأستاذ أحمد الغندور.

دخلت لقيت الشاعر العظيم قاعد مقرفص ع الأرض فبدأت أتعامل معاه بألاطة.. شاعر إيه ده؟.. دنا كل يوم في الجرايد والراديو والتليفزيون كافة شيء ناطق أو مكتوب واللي أكد لي الفرق الرهيب بيني وبين الشاعر المقرفص إنه كان بيكلمني بمنتهى الاحترام حضرتك ويا أستاذ أحمد وأوقات.. يا أستاذنا.. عايز إيه بقى؟ ورمت طبعاً وانتفخت على سنجة عشرة.. دنا كويس إن ما فرقعتش في وشه وبعدين

البدلـة الفخفخينـة اللـي لابسـها أحمـد بهجـت مـدمرة منظـر الغنـدور أبـو جلابيـة زفيـر حلـق كنيـف.. وجـاي تقـول لـي شـاعر عظـيم! واسـتعديت عشان أقول له:

– قوم ياد اعمل لنا كبايتين شاي أنا وعمك الأستاذ أحمد..

راح أحمد بهجت قايل له:

– سمع عمك أحمد حاجة يا أحمد.. سمعه الدرة الصفرا..

وبدأ صـاحبنا فاكتشفت مـن لهجتـه إنـه شرقاوي لأنـه بيقـول الشـعر بالفلاحي.. أما القصيدة فبتحكي عن الدرة الصفرا اللي كانت قبل سنة 1953 علـف طيـور الفقـرا لأن طيـور الأغنيـا يـا إمـا بتاكـل قمـح يـا إمـا بتاكل دره شامي بيضـا.. تعـالى النهـاردة وشـوف الفلاحين بيقفوا طوابير على شونة بنك التسليف في كل قريـة وبيـاكلوا ضـرب مخبـرين بـالخرزان عشـان الواحـد فـيهم يطـول كيلـه مـن الـدرة الصـفرا يطحنهـا ويخبزهـا لعياله!!

رحنا نجيب الدره الصفرا

وجفونا صفوف!

القصـيدة علـى بعضـها أنـا نسـيتها لكـن اللـي صـعب يتنسـي هـو مطلعها:

سنين العزيز

رجعت بجحطها المعروف

والفَجْر عم البلاد

وجوم يا يوسف شوف

صرخت من أحشائي:

- يا ابن ديك الكاااااالب.

ونزلت على ركبي وزحفت وقعدت جنبه ع الأرض وأنا حاسس إني في حجم حباية الدرة الصفرا.

كان لازم يحصل لي كده عشان أخرج من الدوامة.. وخرجت حسيت إني مش لوحدي.. ياه! دا مصر مليانة.. أرنبة براوية مطرح ما تروح تولد وتسيب عيالها يكبروا في الجحور لا حد يقدر يحصرهم ولا حد يقدر يسيطر عليهم.. أتاريكي ما بتموتيش يا عجوزة يا صبية! يا أم طرحة وجلابية يا بنت الكلب.

* * *

في حفلة بيت الطلبة المغتربين وبدعوة من اتحاد الطلبة الأردنيين بالقاهرة فوجئنا بوجود الأستاذ عبد الوهاب محمد مؤلف الأغاني المشهور مدعو لإلقاء بعض أشعاره.. أنا الحقيقة اهتميت إني أسمعه من باب الفضول - مش يمكن عنده أشعار وطنية؟..

طلع قال تسع قصايد عن ضفيرة حبيبته من أول شعر البطن لغاية ما بقت أربعة متر والآخر اكتشف إن شعرها دهب!

وبعد ما خلص أنا تصورت إنه حيجي يسلم علينا ففوجئت بيه بيقول للحاضرين:

– ودلوقت أنا بافضل لكم تقوموا تروحوا حفلة الست أم كلثوم!

قلت له فوراً:

– إحنا معانا تذاكر ورايحين يا أستاذ عبد الوهاب استنى خدنا معاك.

وقبل ما يفكر يقبل أو يرفض كنت ع المسرح وماسك الميكروفون وباقول قصيدة – كلب الست – بس.. وخلاص.

طب مين اللي داعينا ومين اللي داعي الأستاذ عبد الوهاب؟

الحكاية دي فكرتني بحفلة دار أخبار اليوم اللي كان رئيس مجلس إدارتها الأستاذ محمود أمين العالم (ماكانش لسه بقى دكتور) واحد من رموز الحركة الشيوعية العربية.

يدعينا في حفلة.. دا مفهوم.. إحنا بنغني للعمال والفلاحين والصعايدة وبنغني عن جيفارا وفيتنام وفلسطين.. لكن يدعى معانا الشيخ نصر الدين طوبار عشان يقول تواشيخ ومدايح نبوية؟.. دي مش تبقى فزورة! دماغي كان حيطرشق لحد ما حجازي قال لي – دي اسمها لعبة التوازنات يا حمار.

كده ارتحت شوية ولو إني لغاية وقتنا هذا مش فاهم يعني إيه لعبة التوازنـات.. لكـن أدينـي عرفـت إن فيـه حاجـة اسـمها كـده وع العمـوم لاعور أحسن م لاعمى.

* * *

أما حفلة محمد جاد اللي عملها لنا في بركة السبع فدي حدوتة كانت حتنتهي بكارثة – محمد جاد شخصياً كان حيروح فيها.. حيروح حيـروح.. مـش حيتحـبس يعنـي.. لأ دا كـان حيـروح مورتـه.. كـان حيمـوت.. إزاي؟ أنـا أقـول لـك.. راح لواحـد مـن تلامذتـه فـي الاتحـاد الاشتراكي العربي اسمه لطفي الحفناوي.. ولطفي ده جدع طيب وخدوم ورايح لاتحاد لاشتراكي عشان يخدم!! شخص أهبل يعني.. قال له:

– واد يا لطفي.. إيه رأيك زي ما عزمنا الأبنودي نعزم أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام وأنت اللي تعزمهم باسم أمانة بركة السبع.

قال له:

– قوي قوي.

يقوم يتفتق ذهن محمد جاد عن فكرة جهنمية إنه بالمناسبة دي يفتتحوا مسرح بركة السبع اللي مش موجود أصلاً! لكن عند محمد جاد مفيش مشكلة هات ياد يا لطفي الفلوس اللي في جيبك.. طلع لطفي الفلوس اللي في جيبه وأنت ياد طلع وأنت ياد طلع العيال كلها طلعت اتجمع في إيد محمد جاد مبلغ مش بطال بعت جاب خيش وخشب

وراح علـى حتـة واسـعة دق سـدايب الخشـب فـي الأرض ومسـمر فيهـا الخيش بدل حيطـة والسقف مش مهم علماً بـأن الحفلـة كانـت فـي عز الشتا وكنا حنموت أنا وإمام م البرد..

عمك محمد جاء لزوم المنجهة بعت جاب كام علبة لاكيه فضي عشان يظَّبط الشغل والمسرح يبقى لميع نسيوا يجيبوا فرشة للدهان أو الفلوس خلصت مش مشكلة قوم أنت يا عم محمد جاد إدهن بإيدك.. وطبعاً محمد جاد زي حالاتي ضوافره دايماً طويلة خش اللاكيه بين ضوافره ولحم صوابعه ولبد تعالى يا نت يا عم لطفي يا حفناوي تشجيعاً للأستاذ اللي بيشتغل بإيده خلي مراتك تعمل أنجر رز بلبن وخده على موقع العمل وياللا يا أستاذ الغدا.

قعد الأستاذ بكلوة إيده حول نص أنجر الرز على معدته.. أتاري اللاكيه ده سميات ما فيش خمس دقايق والمغص اشتغل في مصارين أبو جاد زي ما بيقولوا – أعطى ساقية للريح – على فين؟ ع المستشفى وهو بيجري لقى واد راكب عجلة راح ناطط راكب قدامه وع المستشفى ياد بسرعة.

وفي المستشفى عملوا له غسيل معدة ونيموه على سرير نضيف بملايات بيضا بناء على أوامر الطبيب اللي هو في الأساس من تلاميذ أبو جاد. فاق محمد جاد من الإغماء بعد ما شعر بزوال المغص

بيبص هو فين لقى ممرضة حسناء قاعدة جنبه وهو رافل في الفروشات البيضا ففوجئت الممرضة بمحمد جاد بيهتف بعلو صوته:

– يعيش أحمد فؤاد نجم يعيش الشيخ إمام عيسى...

ولولا الطبيب كان أبو جاد اتكتف في السرير وصبح تاني يوم اترحل ع الخانكة بقميص الكتاف.

الفاجومي (34)

الطـــريــــق
إلـــى كمشـــيش

حوالي شهرين قضيتهم راقد في مستشفى المبرة بمصر القديمة في كنف ورعاية الدكتور رزق عبد المسيح اللي هجم ع البيت في منتصف ذات ليلة واختطفني بعد ما تدهورت صحتي نتيجة للإهمال والضغط العصبي المستمر واحتجزني في المستشفى للعلاج بالقوة! – إذا لزم الأمر – لأن قرحة المعدة اللي ظهرت أعراضها بشدة بعد حفلة الصحفيين التانية كانت بدأت تنزف وأنا لغاية دلوقتي مندهش إزاي وصل خبر مرضى للدكتور رزق!

المهم الشهرين دول حصلت فيهم حاجات كتيرة..

في المستشفى اتعرفت على الدكتور رزق عبد المسيح الشيوعي القديم المحبط – بعد قرار القيادات بحل جميع التنظيمات السرية والعمل من خلال تنظيم الاتحاد الاشتراكي..

ومن خلال رزق عرفت إن الإحباط زي اللون متعدد الدرجات وردود الأفعال.. لأن رزق اللي حرمه قرار الحل من العمل الجماعي قدر يحافظ على التوازن النفسي بداخله واستمر يمارس العطاء من خلال مهنته كطبيب بشكل أدهشني.. كان أول طبيب يدخل المستشفى صباحاً وآخر طبيب يخرج من المستشفى مساءً وكان بينه وبين مرضاه علاقة شديدة الحميمية (إذا جاز التعبير) كانوا طوال الليل يتكلموا عن

رزق وكان لما مريض يتعب في العنبر بالليل ما يرضاش يخلي حد يسعفه لغاية ما ييجي الدكتور رزق الصبح!

الأهم من كده علاقته بالممرضين والتمرجيه..

كان بيمر ع العنبر يوم الجمعة ساعة الزيارة وأثناء فحصه لمريض شفت تمرجي بياخد فلوس من الزوار.. غمزته.. ضحك وغمزني يعني – شايف! – اندهشت من رد فعله. وفي مكتبه سألته:

– إنت شفت اللي حصل؟

قال لي:

– أيوه.

قلت له:

– وسبته ليه؟

قال لي:

– لأن أنا اللي قايل لهم يعملوا كده!!

قلت له وأنا مذهول:

– أنت بتقسم معاهم بقى؟!

ضحك وقال لي:

– مش للدرجة دي.. المسألة إنه حيسرق حيسرق.. مش لأنه غاوي يسرق لكن لأن مرتبه ما بيغطيش احتياجاته فأنا اتفقت معاهم

يبعدوا عن أدوية وغذاء المرضى وينموا مواردهم من نفحات الزوار اللي حولوها إلى نوع من الفردة! بمرور الوقت.

أيضاً كان فيه طبيب زميل لرزق في الإحباط اسمه الدكتور عبد المنعم عبيد ودا كان حاطط همه في القراية.. كان كل يوم ييجي يشنف أسماعي بالقراية في مسرحية الشرقاوي الحسين ثائراً وشهيداً.

وعرفت كمان الدكتور صالح طبيب أمراض النساء العبثي خفيف الظل اللي كان دايماً يقول لي:

– أنا مش فاهم ليه أنت واجع قلبك بالسياسة؟! إنت راجل فنان والسياسة دي مهنة مافيهاش أي فن.. دي مهنة الكذابين وقتالين القُتلا! مهنة الغاية تبرر الوسيلة.

الراجل ده كان عاشق لمهنته وفضل يلح عليَّ عشان أحضر معاه عملية ولادة يمكن ربنا يهديني وأكتب اللحظة دي.. لحظة ميلاد الحياة اللي هي في رأيه.. أروع لحظات الحياة.

عرفت كمان جلال.. جه زارني ومعاه نعمة بدون سابق معرفة.. ارتحت لزيارته وحسيت إنه من بقية أهلي. وتطورت علاقتنا وخطبت نعمة أخت مراته اللي هو مربيها هي و إخواتها.

جاني كمان بدون سابق معرفة تلاتة زوار حيبقى لهم تأثير بعد كده في حياتي وهم – الدكتور علي الجنجيهي – سعيد عبد المعطي – طلعت السنجابي.

وبعد خروجي من المستشفى اكتشفت مجموعة من التغيرات طرأت على الشيخ إمام ومحمد علي.. أولاً بدأ فؤاد قاعود يحضر كل الحفلات العامة اللي بيحييها الشيخ إمام كمتفرج! أنا شفته في حفلة كلية الحقوق بجامعة إسكندرية بعد ما ألح عليَّ طلعت السنجابي وأخدت إذن من المستشفى وسافرت لحضور الحفلة.. والحقيقة إني اعتبرت ده مبادرة مشكورة من فؤاد على طريق إعادة لم الشمل.

التغير التاني كان مزعج بالنسبة لي لكن ما كانش مخوفني واتعاملت معاه باستهانة شديدة مش عارف ليه لغاية دلوقت؟

في خروجي من المستشفى لقيت شخص لبلابي بيدعي إنه شاعر وبينتهز أي فرصة عشان يأكد دعواه مثلاً في استشهاد جيفارا كتب مطرزة في رثاء الشهيد والمطرزات نوع من القصائد بيبدأ كل بيت منها بحرف من اسم الشخص المقصود بالقصيدة حسب ترتيب الحروف فمثلاً الأخ ده كان كاتب في جيفارا:

ج – الجيم جلد

ى – والياء يا سلام على دا ولد

القصد أنا لا ح اكمل القصيدة ولا ح أقول اسم المتشاعر اللبلابي لأن دا شرف ما يستحقهوش (هو فقط معضوض في شفته عضة رجالي واللي عضه قرص عليه فشرمه دا كل اللي أقدر أقوله عنه).

لقيت الشخص ده قاعد مع الشيخ إمام وجايب له كلام يلحنه على طريقة شفيق جلال ويا ريت الكلام دا بتاعه.. لأ.. دا كان جايب قصايد لابن الفارض وابن الفارض عندي له مكان جليل ما يقلش عن المتنبي وبيرم التونسي.

لكن ما أظنش إن المتشاعر الأشرم كان جايب كلامه للشيخ إمام يلحنه من باب مجاملتي أو مشاركتي الإعجاب بسلطان العاشقين عمر بن الفارض.

إذن الجماعة مصممين على خطف الشيخ إمام وإعادة اكتشافه. وأنا مصمم على عدم تسليمه لهم قبل تفريغه تماماً من منجم الموسيقى اللي جواه وبعد كده ياخدوه مبروك عليهم.

وزي ما تقول إن زهري كان مطقطق عليهم وحظي كان راكبهم. وكان الإيقاع السريع للأحداث في تلك الأيام بيلعب لصالحي.

فبعد حادثة المتشاعر اللبلابي الأشرم بساعات جاني الدكتور على الجنجيهي ومعاه متحت مقلد واتفقوا معانا على السفر صباح باكر إلى كمشيش لإحياء حفل ذكرى استشهاد صلاح حسين.

وكان الترتيب إن إحنا نروح لمتحت الساعة تسعة صباحاً في بيته رقم 5 بشارع قصر النيل ومن هناك نتحرك إلى كمشيش.

وتاني يوم حسب الميعاد رحنا ع العنوان سألنا البواب عن الأستاذ متحت مقلد فقال لنا إنه نزل الساعة تمانية سافر على كمشيش وفوجئت بأسارير الشيخ إمام بتتهلل وهو بيقول:

– أحسن.. بركة يا جامع.

بنتلفت عشان نرجع لقينا في وشنا الدكتور علي الجنجيهي!!

قلت له:

– إنت هنا بتعمل إيه؟

قال لي:

– أنا جاي آخدكم على كمشيش.

ركبنا عربية بالنفر من موقف أحمد حلمي إلى كمشيش وفي الطريق حكى لي الدكتور على الموضوع (همساً بناءً على طلبي).

إمبارح عرف شعراوي جمعة بموضوع دعوتنا إلى كمشيش عن طريق شاعر مخبر فسأل شاهندة أرملة الشهيد صلاح حسين:

– إنتي صحيح عازمة نجم وإمام؟

قالت له:

– أيـوه.

قال لها:

– مافيش داعي ولازم تسحبي الدعوة.

قالت له:

- ليـه؟

قال لها:

- لأنهم.. لأنهم حشاشين.

قالت له:

- أنا مش ح أقدم لهم حشيش.

وانتهى الموضوع عند هذا الحد إمبارح.. لكن النهاردة ما حدش عارف الموضوع وصل لفين؟

.. وصلنا كمشيش ففوجئنا بأن وصولنا عمل زوبعة من ردود الفعل المتباينة.. الطلبة اللي كانوا في الاحتفال قابلونا بعاصفة من التصفيق والهتاف وترديد بعض أغانينا وممثلو الحكومة قابلونا بالتجهم والارتباك الشديد لدرجة إني سمعت واحد بيقول:

- إيه اللي جاب دول؟

شاهندة فقط هي اللي جت استقبلتنا ورحبت بينا بينما اختفى الجميع بما فيهم متحت.. لكن حيروح مني فين؟ سبت إمام ودخلت أدوَّر عليه لقيت – لحش عريض القفا أحمر الخدين ومكرش زي اللي في شهرها السابع ولابس هدوم بيضا مشلبنه يشرب من عليها العصفور ومشتبك مع متحت – المرتبك – في جدول عنيف انتهى بأن قال اللحش لمتحت:

- دول لا يمكن يطلعوا ع المنصة.. التعليمات بتقول كده!

سألت يطلع مين اللحش ده؟ قالولي دا أمين الفلاحين. أنا تصورت إن ده اسمه أتاري دي وظيفة.. أمين الفلاحين!

قلت له:

– يا أستاذ أمين.. يا أخي عيب داحنا ضيوفكم.. وانتو اللي داعيينا.

قال لي:

– أنا أعرفك منين يا جدع أنت؟ إبعد عني ما تودنيش في داهية.

قلت له:

– طب وحياة أمك لطالع ع المنصة وابقى تعالى نزلني.

وظاطت الحكاية وأوشك الحفل ع البوظان لولا إن متحت مقلد طلع ع المنصة ومسك الميكروفون وحياً سفير كوبا لحضوره الحفل وقال:

– وبمناسبة تشريف السيد السفير فيه واحد فنان عامل أغنية عن جيفارا وحيطلع يقولها!!!

ووطى على ودني وقال لي:

– إعمل معروف جيفارا بس.

قلت له:

– ما تخافش.

ورحنا طالعين قايلين حرب الشعب وبعدين قلنا جيفارا مات.. وقلت للناس:

– إحنا حنغني في الغيط.. اللي عايز يسمع ييجي ورانا.

ونزلنا من ع المسرح فقام ورانا أكتر من نص اللي في الحفلة وقادنا أحد الفلاحين إلى قاعة واسعة في البيت قعدنا فيها واتلموا الناس حوالينا وهاتك يا غنا. يقوم ولاد الزواني يبعتوا ورانا غفر بعصيان يضربوا الناس بحجة تنظيم القعدة!

شديت العصاية من واحد منهم وقلت له:

– أنت مين قال لأمك تنظم؟.. عارف لو مديت إيدك على حد؟ ح أكسر العصاية دي على دماغك.

كان قاعد جنبنا – على كراسي طبعاً – تلاتة ظباط مباحث.. بصيت لهم وضحكت فقال لي واحد منهم:

– إحنا تجار جلود.

قلت له:

– جلود بشرية طبعاً.

بصوا لبعض وضحكوا.

وانتهت حفلة كمشيش بعد تصعيد المواجهة وبدأت أستعد لرد فعل السلطة بمزيج من الخوف والفرح.. الخوف كشعور إنساني غريزي من

بطش السلطان والفرح بانتصاري عليهم في معركة الاحتفاظ بالشيخ إمام.

* * *

الكلام اللي اتكتب فينا واللي اتقال عنا يملا قفف.. لكن أذكى الكلام كان اللي كتبه الأستاذ محمود السعدني في مجلة صباح الخير تحت عنوان – أغاني هذا الرجل – أنا مش ح أناقش رأيه في الشيخ إمام لكن اللي يهمني هو رأيه في كلام الأغاني قال ما معناه إن الكلمات تتناول أوجاع الناس بأسلوب لاذع بينما شعراء المؤسسة يكتبون عن هجر الحبيب وسهر الليالي وعد النجوم في عز الضهر.

أما اللواء الطبيب الأستاذ محمد عبد الوهاب موسيقار الأجيال فقال في صوت العرب لما سألوه:

– سمعت الشيخ إمام؟

قال:

– أنا ماليش دعوة بالكلام!!

وراح قايل رأيه في صوت الشيخ إمام وبكده يبقى سيادته ارتكب خطأ فني جسيم لأنه افترض وجود أغنية مافيهاش كلام.

عرفت بقى ليه الأستاذ رجاء النقاش كان مسمي البرنامج "مع ألحان الشيخ إمام"؟.

الفاجومي (35)

إيـــه اللـي عاجبـك

فـــي البـلـــد؟!

ضاقت حلقة الحصار حوالينا واستحكمت واتحول الموضوع إلى شبه مطاردة بوليسية هدفها تفتيت الكيان الفني المزعج اللي استعصى على الترغيب ودهب المعز.. ولقيت نفسي لوحدي في حالة دفاع مستميت عن تماسك الكيان واستمراره.. أنا ماكنتش خايف من الحكومة لأن القطر كان فاتها وما بقتش تقدر تستفرد بينا بعد الناس ما عرفونا من خلال الإذاعة والتليفزيون والحفلات العامة والخاصة.. أنا خوفي كله كان من عبارة كل واحد حر.. لذلك كنت باخاف التفت ليخطفوا المحروس في غمضة عين لأنه هو مستعد يتخطف.. تصور يا مؤمن إني أبات ليلة في إمبابة عند خطيبتي أرجع الصبح بدري ألاقي الشيخ إمام بيلحن إعلانات!! والمرة دي ماجابوش مؤلف من برَّا.. لأ دا واد كان جاي مع محمد جاد باعتباره طبال وقدمهولنا أبو جاد كده:

– شوف الواد ده إذا كان ينفع يطبل خدوه.

خدناه رغم إنه ما بيعرفش يطبل.. خدناه بس من وش محمد جاد وقعد معانا في الغورية آكل نايم متنيل على عينه.. دخلت لقيت إمام ماسك العود ومحمد علي ماسك الرق والواد ده قاعد نافش زي الديك الرومي وواخد سمت المفكرين.

إيه اللي أنتوا بتقولوه ده؟

فوجئت بالواد بيصرخ في وشي:

- سيبونا بقى ناخد فرصتنا.. أنتوا خدتوا فرصتكو.

بصيت على إمام لقيته مبتسم قلت له:

- كمل يا إمام كنت بتقول إيه؟

قال لي:

- دا إعلان حيعجبك قوي!!

قلت له:

- سمعني.

فبدأ يغني:

عبد الرحيم يا غول

يا مخترع يا مهول

سهران بتعمل إيه؟

في المعمل المقفول

خلاصة الكلام.. فهمت إن ده إعلان عن سجاير فلوريدا.. وإن اللي كاتبه الواد اللي ما نفعش طبال واللي جاب الشغلانة واد من توابع رجاء النقاش. وقررت أنحني للعاصفة زي ما بيقولوا وأشتغل في الخباثة وبالليل كنا في سهرة في بيت ورا دار الهلال فطلبت من إمام يغني الإعلان فغناه وفوجئ الجميع بأني شديد الإعجاب بالإعلان لدرجة إني

أضفت له جزء بعد ما صلحت الكسور والمطبات.. الجزء بيقول كختام للإعلان..

الفلوريدا

الفلوريدا

متعة أكيدة

أكيدة أكيدة

وميّل الشيخ إمام على ودني وقال هو شديد الابتسام:

- أيوه كده يا أخي فكها بقى عشان ربنا يفكها.

وكسينا العود وقمنا.. هما راحوا ع الغورية وأنا رحت على إمبابة.

* * *

بأقول لك أنا زهري مطقطق عليهم وحظي كان راكبهم ودا كله ببركة دعا الوالدين.. أنا بمجرد ما وصلت إمبابة حطولي اتعشيت وقالت لي نعمة:

- اقلع هدومك عشان تتغسل.

ولبستني بنطلون وقميص بتوع جلال جوز أختها عشان أنام بيهم للصبح لأن عدم المؤاخذة مافيش بيجامات.. جلال كان عنده بيجامتين زي أي مواطن مصري مستور هو كان نايم في واحدة والشاعر عبد الرحيم منصور كان نايم في التانية.. طلعت بهدوم جلال نمت جنب عبد الرحيم منصور ما أعرفش كان فات قد إيه حسيت حد بيصحيني

من رجلي.. فتحت عنيه وألقى لك ييجي عشرين دماغ منتشرين فوقي وبيبصولي.

- إيه؟ فيه إيه؟ أنتوا مين؟

ضحك واحد فيهم وقال للي:

- صح النوم.

قلت له:

- أنتو مين؟

قال لي:

- إحنا اللي بندور عليك يا حلاوة.

وبعد حوار سريع عرفت إنهم جايين يقبضوا عليَّ وإن اللي جابهم لغاية إمبابة هو محمد علي اللي حاولوا يخبوه في واحد من البوكسات لكن أنا شفته بالصدفة!!

القصد.. فتشوني ما أعرفش بحثاً عن إيه ولما ما لقيوش معايا حاجة سألني واحد منهم:

- أمال هدومك فين؟

قلت له:

- ما أنا لابسها قدامك أهه.

وفوجئت بيهم بينزعوا جيوب البنطلون ويحرزوها.. أتاري دول شرطة مكافحة المخدرات! وطبعاً خدوا جيوب البنطلون عشان يبعتوها

المعمل الجنائي لتحليلها ولو كنت لابس بنطلوني أنا كنت رحت في الكازوزة لكن زي ما قلت لك زهري كان مطقطق عليهم وحظي كان راكبهم.

* * *

لما نزلنا من البيت اكتشفت ضخامة القوة اللي جايّة تقبض عليَّ.. حاجة مهولة لدرجة إني قلت للواء علي الألفي رئيس الحملة:

– طب ما انتو تقدروا تحرروا سينا أهه.. أمال ساكتين ليه؟!

ضحك وقال لي:

– لسانك ده هو اللي جايب لك الكافية.

وفي مديرية الأمن لقيت الشيخ إمام قاعد على كرسي خرزان في البوفيه وحواليه مجموعة كبيرة من الظباط الشباب وهو نازل قراية قرآن وطيت على ودنه وقلت له:

– دا أنت تلاقيك ختمت المصحف.

عرف صوتي ودا بان على ملامحه.. سألته همساً:

– معاك حاجة؟

قال لي:

– أيوه.

قلت له:

– معاك إيه؟

قال لي:

- معايا حتة تيجي نص قرش.

قلت له:

- طب اظرف.

قال لي:

- ما خدوها.

قلت له:

- طب انت ما كانش معاك حاجة.. فاهم؟

قال لي:

- يعني أكذب؟

قلت له:

- لأ العفو.. أنت عارف إحنا في الدور الكام؟

قال لي:

- لأ.

قلت له:

- إحنا في الدور الخامس وأقسم لك بشرفي لو فضلت سايق في الاستعباط وقلت إنهم خدوا من جيبك حاجة لأحدفك م الشباك.

قال لي:

- لأ خلاص.. ما خدوش مني حاجة.

وفي مكتب اللواء علي الألفي قعدنا والراجل بعت جاب لنا سندوتشات شامي فول وطعمية وشاي بحليب وقال:

- اتفضل يا أستاذ نجم.. اتفضل يا شيخ إمام.

ورفض الشيخ إمام بإباء وشمم.. فسألته:

- أنت مش عايز تاكل ليه؟

قال لي في ودني:

- ليكونوا حاطين فيها حاجة.

قلت له:

- أنا بقى عايز أموت.

وسفحت سائر السندوتشات وشربت لتنين شاي بحليب وفجأة دخل ظابط شاب وشوش اللوا علي الألفي وخرج فاصطحبني اللوا الألفي إلى مكتب مجاور لقيت السيد / مدير أمن القاهرة اللواء زكي علاج اللي استقبلني كويس جداً وبعد ما خرج اللواء علي الألفي قال لي:

- إيه بقى يا سيدي؟

قلت له:

- إيه إيه؟

قال لي:

- ما تروح التليفزيون ولا البوتاجاز ولا حتى تروح في داهية وتريح دماغنا.

بصيت في عنيه لقيته مسطول وواصل لدرجة الهربع.. قلت له:

- صباح الفل.

قال لي:

- مش باين.

قلت له:

- فيه إيه؟

قال لي:

- يرضيك برضه إن مجلة ألمانية تشتم الرئيس بسببك؟

قلت له:

- طب وأنا باعرف ألماني؟

قال لي:

- ألماني ولا طلياني.. أنت إيه اللي مش عاجبك في البلد؟

قلت له:

- وأنت إيه اللي عاجبك في البلد؟

قال لي:

- لا دانت باين عليك ابن مجنونة وحتوديني في داهية معاك سلامو عليكو.

وسابني في المكتب وخرج.

وأمام وكيل النيابة لقيت شخص حاطط وشه في الورق وسألني:

- الحشيش دا بتاعك؟

بابص لقيت قدامه حتة حشيش تيجي نص وقيه.

قلت له:

- يا ريت.

قال لي:

- إنت بتهزر؟

قلت له:

- وأنت بتتكلم جد؟ وبعدين أنت حاطط وشك في الورق ليه؟ مش تديني وشك عشان أشوفك وأنت بتزيف.. يا فرحة أمك بيك.

قال لي:

- إخرس.

قلت له:

- إخرس أنت واخجل من نفسك وم اللي بتعمله.

ودخل علينا اللوا الألفي وخدني من إيدي على مكتبه وطلب لي قهوة وحسيت إن الراجل مش مرتاح للي بيعملوه معانا.

* * *

تاني يوم كنا أمام قاضي المعارضات بمبنى مجمع المحاكم ببولاق.. أول ما دخلنا الطرقة اللي فيها قاعة المحكمة لقيت حوالي

عشر أفراد من حوش آدم جايبين لنا أكل وسجاير وتمنيات ودعوات طيبة.

دخلنا القاعة لقينا محامي متطوع اسمه الأستاذ أحمد فؤاد وبعد مرافعة سياسية كلها هجوم على بوليسية النظام خرجنا برّا القاعة واحنا مكبلين بالحديد.. شوية ولقيت الحاجب بينده:

- فين أحمد فؤاد نجم؟

قلت له:

- نعم.

قال للحرس:

- فكه.. سعادة القاضي عايزه.

فكوا الحديد من إيدي ومشيت ورا الحاجب دخلنا ع القاضي قال للحاجب:

- اخرج واقفل الباب وراك.

خرج الحاجب وفوجئت بالقاضي بيقول لي:

- سمعني بقرة حاحا.

بصيت عليه لقيت قدامي وش مصري.. شعر – ملح وفلفل – وسحنة نحاسية ووش بيضاوي جميل لا يمكن أنساه.. وش يديك الإحساس بالألفة والأمان.. أنا لغاية دلوقت ما أعرفش مين هو.. لكن هو عارف نفسه ولقيتني بدون تردد بانشد القصيدة بكل ما في داخل

من حزن وعشق وشجن.. فوجئت بدموع القاضـي نازلـة علـى خدوده في صـمت فـانفجرت بالبكـا وانـا بانشـد القصـيدة حتـى انتهيـت منهـا وبعـد لحظات صمت طلع من جيبه ورقة بعشرة جنيه ومدهالي وهو بيقول:

– أنا ح أفرج عنكم بكفالة عشرين جنيـه.. وأنـا أقدر أسـاهم بـالمبلغ ده فقط.

قلت له:

– شكراً أنا معاي المبلغ.

قال لي:

– طب خد هات لي بدي شريط من تسجيلاتكم.

قلت له:

– احنا ما بنبعش شرايطنا.. أنا ح أجيب لك شريط هدية.

قال لي:

– طب أنا ح أفرج عنكم لكن هما مش حيسيبوكم.. خلوا بالكم.

قلت له:

– المفروض انتوا اللي تخلوا بالكم.

* * *

الفاجومي (36)

البقية في حياتــك..
فــي عقــــلـك

كان الخواجة جوبلز وزير دعاية النازي له عبارة شهيرة هو رحل، وهي فضلت بعده وتحولت عند بعض الحكام إلى قانون أو برنامج عمل.. العبارة بتقول على لسان المرحوم جوبلز.. "كلما سمعت كلمة ثقافة تحسست مسدسي".. وبمرور الأيام وتغير الأشخاص تحولت هذه العبارة فأصبحت بالنسبة لي "كلما سمعت كلمة ديمقراطية تحسست شبشبي".

وإذا كان الخواجة جوبلز قد قال عبارته المذكورة من منطلق الكراهية للثقافة والمثقفين فأنا – وأعوذ بالله من قولة أنا – أقول عبارتي هذه حزناً على الديمقراطية التي انتهكها العسكر والحكام المستبدون في العالم الثالث حتى أصبحت هذه الكلمة تثير الرعب واليأس والإحباط عند سائر الشعوب المغلوبة على أمرها ونحن على مقدمتها على أرض مصر المحروسة ذات السبعة آلاف سنة حضارة وديمقراطية!!

والمدهش في الأمر أن أعداء الحياة هم أكثر الناس تشدقاً بهذه الكلمة – الديمقراطية – وهل يستطيع المصريون مهما مضت الأيام والشهور والسنوات أن ينسوا صلاح نصر وحمزة البسيوني والصول صفوت والنبوي إسماعيل وحسن أبو باشا وعبد العال سلومة وحسن المصيلحي، وباقي هذه السلسلة الجهنمية من القتلة والجلادين الذين

أذاقوا الشعب المصري كل ألوان الهوان بحجة الدفاع عن الديمقراطية في مصر المحروسة؟!

وهل تغزل حاكم في التاريخ في محاسن الديمقراطية مثلما فعل أنور السادات الذي ألقى القبض على كل مصر بقرار واحد ديمقراسي في 4 سبتمبر 1981!! وفي ظل ديمقراطية أنور السادات ذات الأنياب تم اعتقالي خمس مرات وفي المرة السادسة قدمت للمحكمة العسكرية بتهمة تأليف الشعر!!

عرفت بقى سيادتك أنا ليه كل ما بسمع كلمة ديمقراطية باتحسس شبشبي!!

* * *

- عجبك كده؟
- لأ طبعاً مش عاجبني
- بذمة النبي.. ومش عيب؟
- عيب طبعاً.. وعيب جداً كمان.
- طب وآخرتها..؟
- قريب بإذن الله.
- يا ترى العالم بيقول علينا إيه دلوقتي؟
- يقول بقى زي ما يقول.. هو احنا حنمسك بُق العالم.
- وكان ليه من أصله!!

– أهو بقى.

– أنت عارف أنا بتكلم عن مين؟

– لا والله.

– أمال بتوافقني على إيه؟

– وح أعارضك ليه؟

– أيوه صحيح.. يعني أنت..

– موافق على أي شيء يحصل في هذا الكون.

– بس ده ما كانش موقفك.

– أهو بقى موقفي.

– ودا من إيه؟!

– خلقة ربنا.

– أيوه بس اللي حصل ده ما حصلش في أي بلد في العالم غير مصر.

– أديك قولتها بلسانك.. غير مصر وطبعاً مفيش أي بلد في العالم زي مصر وخصوصاً اليومين دول.

– في إيه بالظبط.

– في أي حاجة وأسأل وأنا أجاوبك.

– في الرياضة مثلاً؟

– وهي مصر بقى فيها رياضة

- أمال بقى فيها إيه؟

- فيها اللي أنت شايفه ده.

- آه صحيح.. أنت عارف أنا كنت محموء على مين من شوية.

- على مين؟

- يا ابني المنحوس منحوس من يومه.. وبعدين أنت عايز نتفوق في الرياضة بأمارة إيه؟

- بأمارة حضارة سبع تلاف سنة زي ما بيقول المذيع في التليفزيون.

- هو أنت لسه بتتفرج على التليفزيون؟

- طبعاً.

- خلاص يبقى البقية في حياتك.

- في مين؟

- في عقلك؟

* * *

أجرأ عشرين قصيدة
سياسيــة ممنوعـة

كلـب الســت 1

في الزمالك من سنين وف حمى النيل القديم
قصر من عصر اليمين ملك واحده من الحريم
صيتها أكتر م الأدان يسمعوه المسلمين
والتتر والتركمان والهنود والمنبوذين
ست فاقت ع الرجال في المقام والاحترام
صيت وشهرة وتل مال يعني في غاية التمام
قُصره يعني هي كلمة ليها كلمة في الحكومة
بس ربك لجل حكمة حرمها م الأمومة
والأمومة طبع ثابت جوه حوا من زمان
تعمل إيه الست جابت فوكس رومي وله ودان
فوكس دا عقبال أملتك عنده دستة خدامين
يعني مش موجود في عيلتك شخص زيه يا اسماعين
واسماعين ده يبقى واحد م الجماعة التعبانين
اللي داخو في المعاهد والمدارس من سنين
حب يعمل واد فكاكه
ويمشي حبه في الزمالك
والقيامة والفتاكة يرموا طبعًا ع المهالك

عم سمعه من قيامته حب يعمل فيها فِلْه
بعد ما ألوظ بيجامته اشتري حتة مجلة
قول مشي بيقرا ف حكاية من حكايات الغرام
واندماجه في القرايه خلا مشيُه مش تمام
ع اليمين يحدف بعيد خطوتين ويروح شمال
لمحه فوكس من الحديد قال دا صيد سهل وحلال
هُب نط في كرشه دوغري جاب بيجامته لحد ديلها
اسماعين بدال ما يجري قال يا رجلي رجلي مالها؟
حبه واتلموا الظنايا اللي هما البوابين
والحكاية والرواية قال لهم دا كلب مين؟
كلب مين ما كلب مينشي سُمعه لبخ حبتين
قال له واحد فيهم إمشي اللي جابك عنده مين؟
كلمة من دا وكلمة من دا ظاطوا واترسمت فضيحة
قول نهايته والقصد من دا إسماعين أكل الطريحة!!
راحوا قسم الشرطة طبعًا والنيابة.. كفيله بيهم
واترموا في الحجز جمعًا لما ييجي الدور عليهم
حبه.. والشاويش أمين قال سعيد النقشبندي
قام غريم عم اسماعين قال له محسوبك يا أفندي
قام سي سمعه يروح معاه الشاويش قال غور بدمك

راح تعوصني وفوق قفاه كف طرقع داهيه ف امك
تفتكر يفضل سي سمعه قد إيه في القسم نايم؟
استضافه الحجز جمعه يا بلاش آدي العزايم
شاف بلاوي ما تتحكيش م الديابة المسجونين
قال يا عالم.. يا شاويش يا نيابة.. يا مسئولين
خلصوه بعد المناهده جثة من جحر الديابة
هي يمكن ساعة واحدة كان في مكتب النيابة
أنت فين والكلب فين أنت قده يا اسماعين
طب دا كلب الست يابني وانت تطلع ابن مين
بشرى لصحاب الديول واللي له أربع رجول
بشرى لسيادنا البهايم من جمايس أو عجول
هيص يا كلب الست هيص لك مقامك في البوليس
بكرة تتولف وزارة للكلاب ياخدوك رئيس

القاهرة: 1963

* * *

أبـوك السقا مات 2

شيلني وأشيلك دانا برضه فرحت لك
وأنا بتاعك يا بيه وأعرف ما اعرفش ليه
وكان عبد المعين لابد في المسئولين
وأنا بتاع كل حاجة ودراعك اليمين
وهتيف الوزير وسواق المدير
ومهماز المدام ونبوت الغفير
وفراش العيادة وخدام السيادة
واللي من غير سناده يتعكز ع السرير
وناس بدم ساقع واقفين ورا البراقع
يميعوا المبادئ ويفسروا الشرائع
وناس من خلف شيش خايفين من الشاويش
سلبية الميه ميه تعالى لا ما اجيش
أصل إحنا شعب طيب والطيبة فينا بلوى
تاخدنا من قريب وتجينا كلمة حلوة
مشوارنا مش هوِّين وما هواش بالقليل
مهما الخيال يزين لسه الطريق طويل

وع الطريق شكوك وجبال حسك وشوك
صحيح يا عين أبوك وامسك في إيد أخوك
عايزين همه رجال أبعد من المحال
وأسرع من الأمل تزلزل الجبال
وأقعد ويا الصحابة ونقول على الربابة
يا جيل الإنجازات يا جيل المحظوظين
أبوك السقا مات من شرب الميه الطين

القاهرة: 1966

* * *

جـــــوازه 3

شعبان البقال عقبال الأنجال
اتوظف واتنظف واتعدل له الحال
من بعد الجلابية والفوطة الدبلان
في رقبته المهرية من هبش الأكلان
والدوخة الأزلية والنوم في الدكان
بقى صاحب عربية وعمارة وسكان
تلقاه للصبحية سهران ع الكونكان
وينام للعصرية كبقيت الأعيان
وسألت الخضرية وبتوع الدخان
ع الحكمة الإلهية في نظافة شعبان
وعرفت ان أخانا شعبان بن بهانة
اتجوز فنانة واتعين فنان

ع المحــطـــة 4

ع المحطة ع المحطة واللي شفته ع المحطة
طلعت الخفة أم شنطة سلم الأتوبيس بنطة
حتة ملعب والأكادة في القوام والحسن بطه
هي خشت درجة أولى والكراسي بقت منطة
سابو تانية وغلب تانية والقطيع على أولى خطي
اللي يهبش في الجونلة واللي يعلى واللي يوطى
بص واحد م اللي هما دمهم فلفل وشطة
شاف صنايعي في البريمو قال له خش هناك ياسطى
تانية أنسب للي زيك دي الحقيقة بلاش مغالطة
الأسطى قال له يا عم روق دي الحياة تحب المباسطة
وأنت شايف مش مغمض حاجة ملبن حاجة قشطة
ولا يعني الكون ح يخرب لو فقير يلهط له لهطه

القاهرة: 1966

الحمــد للـه 5

الحمد لله خبطنا تحت بطاطنا
يا محلا رجعة ظباطنا من خط النار
يا أهل مصر المحمية بالحرامية
الفول كتير والطعمية والبر عمار
والعيشة معدن وأهي ماشية آخر أشيا
مدام جنابه والحاشية بكروش وكتار
ح تقول لي سينا وما سيناشي ما تدوشناشي
ما ستميت أوتوبيس ماشي شاحنين أنفار
إيه يعني لما يموت مليون أو كل الكون
العمر أصلاً مش مضمون والناس أعمار
إيه يعني في العقبة جرينا ولا في سينا
هي الهزيمة تنسينا إننا أحرار
إيه يعني شعب في ليل ذله ضايع كله
دا كفاية بس أما تقول له إحنا الثوار
الحمد لله ولا حولا مصر الدولة
غرقانة في الكدب علاوله والشعب احتار
وكفاية أسيادنا البُعدا عايشين سُعدا

بفضل ناس تملا المعده وتقول أشعار
أشعار تمجد وتماين حتى الخاين
وإن شاء الله يخربها مداين عبد الجبار

القاهرة: يونيو 1967

* * *

القـضـيــة 6

الحكاية والرواية والقضية والجناية
والفانلة في الجونلة والمخدة في الملاية
والإدارة بالشطارة والخسارة ع التكايا
والأمين مهلباتي والأمانة مهلباية
والصحافة مهلبية والإذاعة يا ضنايا
ألف ليلة وليلة تندب ع الهوا وتقول هوايا
والمشايخ كل شايخ في الفساد يهدي الهداية
والقناعة للجواعى والبضاعة للهبايا
والبوليس في اليغمه طايح بالطبنجة والعصايا
ديب غريب من غير كمامه يهبش التوب والعباية
والحكاية والرواية والقضية والجناية
الحكاية عايزه قعدة والكلام مالوش نهاية
الحكاية إن البلد مش ملك ناسها
والخلايق في البلد مش مالكة راسها
والبلد يا ولاد بلدنا مش عليلة
البلد علتها جاية من خرسها
الحقيقة بنت كلمة والكلام لازم يدور

سندباد مواله عالي في المداين والكفور
والجناية أن البلد من السكات
بعضها راح لليهود والبعض مات
واللي جابوا النكسة لسه ع الكراسي
والكراسي فوق ضهور المخلوقات
والقضية في النهاية خدها مني ف كلمتين
البلد مش عايزه قعده وكل منهو بفتوتين
البلد عايزه المجاهد باللسان وبالإدين
كلنا ومن غير معاهدة للبلد علينا دين
يكبسونا يحبسونا يضربونا كرباجين
البلد سامعة وشاهده وكل خرم قصاده عين

القاهرة 1969

فـي المعـتـقل 7

في المعتقل يسلام سلم موت واتألم
لكن لمين راح تتظلم والكل كلاب
كلاب حراسة وكلاب سيد واقفين بالقيد
يكتفوا عنتر وأبو زيد ويهينوا دياب
الكلب فيهم لا يميز ولا يتميز
عن الغوريلا ومجهز وبضفر وناب
ومدربينه يدق الكعب فوق راس الشعب
يزرع في قلبه الخوف والرعب من غير أسباب
غير إن شلة حرامية وشمحطية
عايشين في مصر عواطلية وبياكلوا كباب
عايزين يعيشوا عرض وطول على كده على طول
وإن حد بلضم سيدنا يقول جربه يا كلاب
ع المعتقل يرموه في الضيق ما يلاقي صديق
وإدارة شغلتها التلفيق تكتب له جواب
غير الصحافة ما تهول بقى وتأول
وبعد ما الكدب يطول تطلع في كتاب
لكن يا مصر حييجي اليوم ويطير النوم

وكل ظالم أو مظلوم حيكون له حساب

معتقل القلعة: 1969

* * *

شـقع بقــع 8

أنا الأديب ولا تعرفنيش
تقرا لي لكن ما تشوفنيش
كلامي لا هو مدهون ورنيش
ولا المعاني عليها غبار
شقع بقع يا ديل الفار
يا شعب مصر ياخم النوم
ما تفوق بقى وتشوفلك يوم
والثورة قامت في الخرطوم
وأنت اللي نايم بالأسرار
شقع بقع يا ديل الفار
يا شعب ثور داهية تسمك
وشيل أصول أسباب همك
عصابة بتمص في دمك
والاسم قال ضباط أحرار
شقع بقع يا ديل الفار
خدوا اليهود غزه وسينا
وبكرة يبقوا وسطينا

والراديوهات بتغدينا
خطب ونتعشى أشعار
شقع بقع يا ديل الفار
الشيخ إمام قال كلمة حق
الست ثومة قالت لك لأ
وأبو النجوم على ودنه انزق
في المعتقل والدنيا نهار
شقع بقع يا ديل الفار

معتقل القلعة: 1969

* * *

الثوري النوري 9

حلا يا ويللا يا حلا ويللا
يا خسارة يا حول اللا
الثوري النوري الكلمنجي
هلاب الدين الشفطنجي
قاعد في الصف الأكلنجي
شكالاطه وكراميلا
يتمركس بعض الأيام
يتمسلم بعض الأيام
ويصاحب كل الحكام
وبستاشر مله
يا حلولو لو شفته زمان
مهموم بقضايا الإنسان
بيتكتك لا تقول بركان
ولا بوتجاز ولا حله
إيش حالك يا جريبي اليوم
وإيش جاب التفاح للدوم
وإيش جاب الأوضة ف بدروم

العربية وفيلا

جرانين ومسارح وإدارة

ومعلق طبلة وزمارة

يسلك أهو بيزمر يعطل

يجيبوا له المنافيلا

وترستق هلاب الدين

بقى عاقل جداً ورزين

ويا عيني علينا يا مجانين

عشنا ومتنا بعله

معتقل القناطر: 1970

*   *   *

النـقـطـة 10

النقطة علشان لأحباب وصاحبها واحد نصاب
دا معلم أبداً كداب وبيكسب من غير أسباب
والصحبة خنازير وكلاب وأنا وأنت نطلع م الباب
لا صوت يعلو فوق صوت المعركة
كل الجهود كل الزنود للمعركة
ألحان جنان تعزف نشيد المعركة
وكمان لجان عشان عيون المعركة
سلام يا واد للست مع مع معركة
وكمان سلام لأهل بيت المعركة
سندات جهاد جداد عشان المعركة
لا زمن جميع الناس يساعدوا المعركة
مخلوق مفيش إن لم يعيش للمعركة
وتموت قتيل ولا مفيش بديل للمعركة
خطاب خطير يشرح مصير المعركة
عشرين خطاب كمان عشان المعركة
وخبزنا عيش أسود عشان المعركة
وأكلنا عيش أسود بلون المعركة

الشعب جاع الشعب صاع دي معركة
نجوع نصوع راضين عشان المعركة
لا صوت يعلو فوق صوت المعركة
يا همبكا في البمبكا على بمبكا في الهمبكه

القاهرة: 1971

* * *

ورقة من ملف القضية 11

* أنت شيوعي.

- أنا مصراوي.

* أنا أنتو مصايب أنتو بلاوي.

- ممكن أعرف مين الأول بيكلمني؟

* إحنا مباحث أمن الدولة

- دولة مين؟

* دولة مصر.

- مصر العشة ولا القصر؟

* أيوه حنبدي ندور ونلف حاجة تترفز خالص أف.

- مالك.. شايل طاجن خالك؟

* لم لسانك ما تخرفش

- أنا ما اقصدش إهانتك طبعاً.

* أيوه استعبط.

- لا ماعرفش.

* إيه رأيك في سفارة كوريا؟

- إيه رأيك في قضية مصر؟

* مصر ف وحده هي و سوريا وليبيا ولازم ييجي النصر.

– ييجي منين وإزاي ولمين؟

* أدي كلام الشيوعيين.

– أنا من حقي.

* حق ف عينك.

– أنا باتكلم بيني وبينك.

* يعني كلام بره التحقيق؟

– إذا كانش يسبب لك ضيق.

* طيب قول.

– مين مسئول؟

* مين مسئول عن إيه يا أخينا؟

– ع اللي جرى لنا ف غزة وسينا.

* أنت شيوعي أكيد وطاوعني فضي دماغك من دي قضية.

– طب ما نحارب لجل عيالنا.

* أنت الظاهر مخك فاضي وحتتعبني معاك ع الفاضي.. ابق اتفلسف عند القاضي.

– هي قضية؟

* أمال فاهم إيه أمال هي الدولة دي لعب عيال؟

– ممكن أعرف أنا هنا ليه؟

* أيوه حتعرف أمال إيه يوم خمسة وعشرين الماضي إيه مشاك عند التحرير؟

- تحرير إيه يا جناب القاضي؟

* أنا مش قاضي.

- بكرة تصير.

* بطل غلبة وجاوب دوغري.

- أنا غلباوي كده من صغري.

* كل الشيوعيين أمثالك آخر غلبة وقلة ذوق..

يحصل إيه لو تمشي في حالك فاكر نفسك مين ما تفوق؟

- حاجة عظيمة وبشرة خير.

* أنت دماغك ينفع جزمة.

- وأنت لسانك ينفع سير.

* أخرس قطع لسناك سافل.

- كتر خيرك مخك قافل.

* مين وداك عند الطلبة رايح ضمن المندسين.

- رحت اناقشهم واسمع منهم.

* تسمع منهم إيه ياسي طين؟

- هما الطلبة إيه مطالبهم؟

* أنت حتستجوبني يا شاطر؟!

– بس انا بسأل كانوا طالبين كراريس ومساطر؟
ولا مطالب ميه الميه كل الشعب مآمن بيها؟
* دول طالبين حرب وشعبية مين مجنون بقى حيمشيها؟
– روق دمك بس يا بيه الحرب ضرورة ومفروضة..
واهو نفس سلاحنا المظلوم في فيتنام دابح أمريكا.
* دي طبيعة أرض يا بني آدم.
– بطلوا بقى كدب وبولتيكا طب ما الهند بنفس سلاحنا في باكستان بعزقت القرب.
* رأيك يعني ضروري إن احنا وحتماً يعني نخش الحرب.. طيب حاضر فين المخبر حتغير رأيك بالضرب.
القاهرة: يناير 1972

* * *

السـيـمـا 12

شوف عندك يا سلاملم واتفرج يا سلام
أفلام القرع كوسه حتقدم فيلم خام
من مخرج الروايح ومسبب الزكام
عن قصة واقعية من تشخيص المدام
والفيلم لاجل خاطرك واخد مليون وسام
واتفرج يا سلاملم ع السيما يا سلام
الناس ملهية وساكتة والصالة بتشغي عيون
والفيلم مطلع ريحة والناس مش لاقية لمون
عيل فرحان بشبابه ومغرق شعره صابون
مشكلته ما يبخلفشي ومراته كمان بتخون
ودلال بتحب عطية وعطية جدع مجنون
لازق في زبيدة التشه أخت الأستاذ مأمون
اللي مراته أم قداره أخت محمد سعدون
جوز تانت ماريكا الهبله اللي مصاحبه المأذون
اللي معلق نبوية بنت الأستاذ مأمون
الفيلم اتعقد خالص جايبين ليه شجيع مجنون
دب خناقة في خمارة وشالوه ع البيت معجون

البطلة حتشرب نجده مبروك وصل المأذون

القاهرة: 1972

*   *   *

شيـد قصـورك 13

شيد قصورك ع المزارع من كدنا وعمل إدينا
والخمارات جنب المصانع والسجن مطرح الجنينة
واطلق كلابك في الشوارع واقفل زنازينك علينا
وقل نومنا في المضاجع آدي احنا نمنا ما اشتهينا
واتقل علينا بالمواجع احنا اتوجعنا واكتفينا
وعرفنا مين سبب جراحنا وعرفنا روحنا والتقينا
عمال وفلاحين وطلبة دقت ساعتنا وابتدينا
نسلك طريق مالهش راجع والنصر قرب من عنينا
النصر أقرب من إدينا
معتقل القناطر: 1973

* * *

(1)

اللورد بن اللورد بن اللورد بن اللورد
متأصل في الثورة لا أوناسيس ولا فورد
حيطبق بسلامته قوانين لاشتراكية
ويدافع من عشمه عن صوت الحرية
وآهي كوسه على بامية على قرع استامبوللي
بتقرع يا بلدنا على وش التسقية

(2)

سكرتير عموم مصر وافهم كلامي
تعدد مناصبه ولا تنتهيش
وجيه بالوراثة وجاهل عصامي
جمع جهل طايل وايه من مفيش
وكان أصله ضابط وحول حرامي
ويكتب أدب بس ما يتعربش

(3)

يا وليه عيب اختشي يا شبه إيد الهون

دانتي اللي زيك مشي يا مرضعة قلاوون
مدحتي عشرين ملك وميت وزير ورئيس
مروان وعبد الملك والمفترى وعتريس
بتغني بالزمبلك ولا انتي صوت إبليس
من أول المبتدأ حتى نهاية الكون

(4)

لإن الصراحة في بلدنا قليلة
بفضل المباحث وأدب الرموز
جعلها اللئيم ابن بنت اللئيمة
شعار يومي تحته السموم كيف يعوز
ويهدل أصول الصراحة العظيمة
وقال ع السكوت ع الهزيمة يجوز

سجن القلعة: 1973

* * *

رئيس مجلس إدارة شركة نصر لسرقة مصر
يتوجه وبعون الله وبنفس التكنيك إياه
يدخل على المصنع هواه ويمارس ملعوب العصر
اسرق واحرق
سريقة سريقة سريقة.. سرقوا المصنع
حريقة حريقة حريقة.. حرقوا المخزن
سريقة حريقة حريقة سريقة.. حريقة سريقة سريقة حريقة
سرقوا القوت والنور والقدرة
حرقوا الأرض البور والخضرة
مين يا ولاد في الدنيا يصدق إن الراجل يحرق بيته
خايف قال م البيت النايم يصحى ويكشف سرقة زيته
اللي سرقها واللي حرقها بكرة صاحبها ح يخرب بيته
القاهرة: 1973

* * *

موال الفول والطعمية 16

عن موضوع الفول واللحمة صرح مصدر قال مسئول
إن الطب اتقدم جداً والدكتور محسن بيقول
إن الشعب المصري خصوصاً من مصلحته يقرقش فول
حيث الفول المصري عموماً يجعل من بني آدم غول
تاكل فخده في ربع زكيبة والدكتور محسن مسئول
يديك طاقة وقوة عجيبة تسمن جداً تبقى مهول
ثم أضاف الدكتور محسن إن اللحمة دي اسم أكيد
بتزود أوجاع المعدة وتعود على طولة الإيد
وتنيم بني آدم وتفرقع منه المواعيد
واللي بياكلوا اللحمة عموماً حيخشوا جهنم تأبيد
يا دكتور محسن يا مزقلط يا مصدر يا غير مسئول
حيث ان انتوا عقول العالم والعالم محتاج لعقول
ما رأي جنابك وجنابهم فيه واحد مجنون بيقول
احنا سيبونا نموت باللحمة وانتو تعيشوا وتاكلوا الفول
ما رأيك يا كابتن محسن مش بالذمة كلام معقول
القاهرة: 1974

* * *

نيكســـون 17

شرفت يا نيكسون بابا يا بتاع الووترجت
عملولك قيمة وسيما سلاطين الفول والزيت
فرشولك أوسع سكة من راس التين على مكة
وهناك تنفذ على عكا ويقولوا عليك حجيت
"وأهو مولد ساير داير شيلاه يا صحاب البيت"
جواسيسك يوم تشريفك عملولك دقة وزار
تتقصع فيه العايقة والساكت والمنشار
والشيخ شمهورش راكب ع الشعب وهات يا مواكب
وبواقي الزفة عناكب ساحبين من تحت الحيط
"وأهو مولد ساير داير شيلاه يا صحاب البيت"
خد مني كلام يبقى لك ولو أنك مش ح تعيش
لا ح أقول أهلاً ولا سهلاً ولا تيجي ولا ما تجيش
بيقولوا اللحم المصري مطرح ما بيسري بيهري
وده من تأثير الكشري والفول والسوسي أبو زيت
"وأهو مولد ساير داير شيلاه يا صحاب البيت"

القاهرة: 1974

* * *

ديســتـــان 18

فاليري جيسكار ديستان والست بتاعته كمان
حيجيب الديب من ديله ويشبع كل جعان
يا سلاملم يا جدعان ع الناس الجنتلمان
داحنا حنتمنجه واصل وحتبقى العيشة جنان
التليفزيون حيلون والجمعيات تتكون
والعربيات حتمول بدل البنزين بارفان
وحتحصل نهضة عظيمة وحتبقى علينا القيمة
في المرسح أو في السيما أو في جنينة الحيوان
وحتبقى الأشيا زلابية ولا حوجة لسوريا وليبيا
وحنعمل وحدة أرابيا مع لندن والفاتيكان
والفقرا حياكلوا بطاطا وحيمشوا بكل آلاطة
وبدال ما يسموا شلاطة حيسموا عيالهم جان
ودا كله بفضل صديكي ديستان الرومانتيكي
ولا حدش فيكو شريكي في المسكن والسكان

القاهرة: 1975

بيـــان هـام 19

"هنا شقلبان محطة إذاعة حلاوة زمان"
من القاهرة ومن كردفان وسائر بلاد العرب واليابان
تقدم إليكم بكل اللغات مراسح وسيما وجميع الفنون
صحافة ومنابر وتليفزيونات وخطبا في جوامع وجبنة وزتون
ونقزح ونركب جميع الموجات ونبحث ونفهم في كل الشئون ودايماً نلعلع
في كل الحالات ولا حد سامع ولا يحزنون
وتسمع ما تسمع ودا ما يهمناش لإن احنا أصلاً بناكل بلاش
فخليك في نفسك وما تخليناش نسلط عليك القلم واللسان
"هنا شقلبان محطة إذاعة حلاوة زمان"
يسر الإذاعة وما يسركوش بهذه المناسبة وما بندعيكوش
نقدم إليكم ولا تقرفوش شحاتة المعسل بدون الرتوش
شبندر سماسرة بلاد العمار
معمر جراسن للعب القمار
وخارب مزارع وتاجر خضار
عقبال أملتك أمير الجيوش ما تقدرش تنكر تقول ماعرفوش
شحاتة المعسل حبيب القلوب يزيل البقع والهموم والكروب
يأنفس يأفين يبلبع حبوب ويفضل يهلفط ولا تفهموش

وتفهم ما تفهم دا ما يهمناش لإن إنت فاهم وعامل طناش
"هنا شقلبان محطة إذاعة حلاوة زمان"
لأن المخبي ظهر واستبان وكل المسائل بدت للعيان
وطلعت حكاوي ونزلت كمان عن التهريبة وعن كيت وكان
وعن ألعبان ظهر في المدينة
كأنه الطوفان وغرق مراكب وسوح غيطان
وبعض المراكب ح تغرق كمان وأزمة مساكن وأزمة أمان
وعالم بياكل في عالم جعان وريحة مؤامرة في جو المكان
لهذا وذاكا تكلم كمان نقدم إليكم عروسة وحصان
"هنا شقلبان محطة إذاعة حلاوة زمان"
بسم الله سلام عليكم وسلمون وموز
وأما المسائل فهنجف ولوز
فيا إخوتي ويا أخوات إليكم بياني كما هو آت
جميع المسائل تمام التمام وكل الكلام دا مجرد كلام
فصبراً جميلاً ولا تقلقوش وشغل الضغاين أنا ما أقبلوش
مافيش أي حاجة وقدر كمان إن فيه أي حاجة
مافيش أي حاجة مالوش أي لازمة الكلام واللجاجة
وعيب أن عيل يسوق السماجة ويعمل لي باللو ويعمل ديباجة
أنا بطبعي ضد السماسرة الكبار

بحكم المنافسة وحكم الجوار
لكن مش ف طبعي إني أعمل فضيحة
لواحد زميلي هبش كام صفيحة
ماكل الزمايل بتهبش صفايح
وكل اللي جاي ماش زي اللي رايح
فيا أيها الشعب صهين تفلعص مساء التنفيس مساء الروايح
أخويا الأمير بزرميط الإيراني
بعت لي السنة دي عزمني ودعاني
أنا قبلت طبعاً ورحنا العزومة وكانت وليمة ما تحصلش تاني
دا إيه المحمر وإيه المكمر إيه المشمر إيه الصواني
أنا دماغي تعبت ولفت صراحة
من الفخفخة والهنا الأصفهاني
هناك يعني مثلاً إذا شربت طافية
تمز بكوارع وبسطرمة ضاني
ما شفتش هناك ناس بتحقد عليهم
ولا ناس بتشتم فلان الفلاني
لأنه اشترى عزبتين من شطارته وحكمة إدارته وطلع مباني
وبعد الوليمة استلمنا الهدايا
مفضض ومدهب وقز وقيشاني

وطبعاً أخويا الأمير قال لي حاجة
ح أقولها لكو طبعاً إذا الوقت ناسب
ح يطلع لي عيل بدون أي حاجة
ويعمل لي فلحس ويقعد يحاسب
دا حقد اشتراكي أنا ما اقبلوش
ولو هو ابني أنا ما اعتقوشي
فيا أيها الشعب كمل جميلك وصبراً والزم حتيجي المصاري
وتاكل وتشرب ما يأتيلك وتغرق في بحر العبيد والجواري
وترسم حياتك حسب ما يرائيلك
وتملا الحواري فساقي وقصاري
تسبح بحمدك وتشكر جميلك وفضل الزبالة وطفح المجاري
ختاماً سلاماً وآخر كلاماً ضروراً يسود الهدوء والوئام
فماذا وإلا ح اطربقها واللا واهرب فلوسي واسافر قواماً
سلام عليكم وسلمون وموز
بصفتي رئيساً وأباً وجوز

القاهرة: 1976

بـوتيـكـات 20

بوتيكات النات كوا النات وشقق مفروشة وعمولات
يا حلاوة الناوة كوا الناوه يا بلدنا يا آخر فتاكات
شبيك لبيك فتح مخك لبيك شبيك غمض عينيك
حتقفل مخك ح نطخك ونلوشك لو تفتح عينيك
اسكت طنش تركب مازدا وتعيش سلطان في البروازدا
مش عاجبك فالجبنة الفازدة والعيش والفول والكرات
"بوتيكات النات كوا النات"
مين فيكو ما يعرفش عليوه شيال المنيا الكحيان
في ثواني اتموّل واتحوّل بقى مسيو عليوه عليان
إزاي ماهى بوظة ومفتوحة على حس الناس المدبوحة
وأرانب صاحية ومدبوحة تتأستك تبع البنوكات
"بوتيكات النات كوا النات"
حتقولي الفقرا ومشاكلهم دي مسائل عايزة التفانين
وأنا رأيي نحلها رباني ونموت كل الجعانين
وبهذا ما حدش ح يجوع لو نغلق هذا المشروع
وحنقفل هذا الموضوع نهائياً ونعيش في ثبات
"بوتيكات النات كوا النات"

سجن الاستئناف: 1981

* * *